عنوان الكتاب : الأدلة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية

المؤلـــــف : محمد فريد وجدى

سنة النشـــر : ١٩٣٦

رقم العهـــدة : د ٧٩٣٤

الـــ ACC : ١٠٦١٨

عدد الصفحات : ٧٩

رقم الفيلـــم : ١٦

Ac/ ١٠٦١٨

الأدلة العلمية

على جواز ترجمة معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية

تأليف

محمد فريد وجدي

مدير مجلة الازهر

٢٧٤ / ٧٥٤٢
٢٢١٫٤ م و

ملحق بالجزء الثانى من مجلة الازهر سنة ١٣٥٥

(يوزع بالمجان)

- Ac / ١٠٦١٨
- ٢٠٣١ ٢٢١٫٤
- ١٧/ ٧٩٤٣

(الطبعة الأولى)

مطبعة المعاهد الدينية
١٣٥٥هـ - ١٩٣٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للعالمين ، وجعله تبصرة لخلقه أجمعين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين .

مقدمة

القرآن العظيم هو آية الله الكبرى لاخلق كافة ، أنزله بلسان عربى مبين ، وندب الذين يتولونه أن يبلغوه للعالم بكل وسيلة تصل اليها قدرتهم ، فهو أمانة عهد بها اليهم ، ودعوا لاقيام بحقها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فقال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك لأن له مقاصد عالمية لا تتم إلا بتعميم نشره ، واشتراك أمم مختلفة فى إقامته . وهذه المقاصد العالمية تنحصر أصولها فى المرامى الآتية ، وهى :

١ — تطهير العقائد الاولية مما أدخل عليها من آراء المتزيدين ، وأضاليل المتأولين .

٢ — إنقاذ الضمير البشرى من الذين انتحلوا حق التسلط عليه ، وتطهيره مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم .

٣ — إقامة سلطان العقل ، وإعلان حرية النظر ، وهدم صنم التقليد .

٤ — إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه ، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس أجمعين .

٥ — وحدة الجماعات البشرية كافة ، بقيامها جملة على كلمة الله العليا .

٦ — إهدار ما بينها من فروق قومية ، واختلافات جنسية ولغوية فى ظلال الوحدة الانسانية .

٧ — الرجوع بالدين الى أصله الأول الذى أوحاه الى جميع الامم خالصا من كل شائبة بشرية ، ونبذ ما دسه الزعماء الى جوهره من تأويلات وشروح مما جعل الناس فيه أحزابا وشيعا .

٨ — إقامة دولة الحق فى الارض ، وجمع القلوب عليها ، و التضافر على إزهاق الباطل .

٩ — دخول الأمم كافة الى حظيرة السلام ، والتكافل على تحقيق الخير العام ، بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس قاطبة .

١٠ — دوام الارتقاء فى العلم والعمل ، والوصول الى الحق من طريق النظر فى آيات الله ، وتحدى المثل العليا للوصول الى الكمال المقدر للانسان .

١١ — إنذار من لا يساهم من الجماعات على تحقيق هذا الاصلاح العام بالعذاب فى الدنيا ، وسوء المنقلب فى الحياة الآخرى .

هذه أصول ذات مقاصد عالمية ، لاتتم على يد أمة واحدة ، ولابد من اشتراك أمم مختلفة فيها ، ليتحقق معنى أنها إصلاح عالمى عام ، تقوم به الحجة ويصلح أن يكون مثلا أعلى فى كل زمان ومكان . وقد صرح الله تعالى بان القرآن هو ختام الوحى الالهى ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين الى الناس كافة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد أمر من يدين بالاسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التى يفرضها الحق عليهم بالدعوة الى هذا الاصلاح العام بكل وسيلة ، فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » وقال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

إذا كان الأمر كما ترى أفيستطيع المسلمون أن يهملوا تبليغ ما ندبوا الى تبليغه اعترافا منهم بالقصور ، او تلبسا بالتقصير ، فيستبدل الله بهم قوما غيرهم

كما أوعد بذلك فقال : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ؟

ليس فى هذه الملة من لا يسلم بصدق المقدمات التى قدمناها والنتيجة المترتبة عليها ، ولكن الخلاف بين المتكلمين ينحصر فى الأسلوب الذى تؤدى به أمانة التبليغ التى فى أعناقنا للأمم كافة .

أساليب الدعوة فى مختلف العصور:

قد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع وقد أفادت المسلمين هذه الوسيلة فى أول عهدهم ، فدخلت فى الاسلام أمم برمتها ، ولم يمض عليهم قرن واحد حتى بلغ عدد أتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

ولكنا فى عهد أصبح أقل الناس فيه شأنا يحسب لنفسه وجودا أدبيا ، واستقلالا ذاتيا ، وحرية غير محدودة فى الانتقال من دين الى دين .

وشعر الذين نالوا حظا من الروح الاسلامية من رجالات هذا العصر بفداحة التبعة المترتبة على كتمان ما استؤمنوا عليه من هذه الوديعة الالهية ، وتركها محصورة فيهم ، موقوفة عليهم ، فى عهد أصبحت فيه جميع النظم الاجتماعية ، والربط الأدبية فى بوتقة النقد الدقيق ، واستعدت العقول لقبول أى علاج كان يفرج الكروب ، ويأسو الكلوم ، ويحل المعاضل ، وينهج محجة لا تفترق بأهلها عن الرشد ، ولا تبعد بهم عن الغاية ، ولا تلتوى بهم فى مضال طال عليهم الأمد فيها ، وأصبحوا عنها راغبين . فرأى الذين شعروا منا بأمانة التبليغ أن الضن بالبلسم الشافى لجراح الانسانية ، والشح به والناس أحوج ما يكونون اليه ، والعقول أعطش ما تكون الى جديد ، وأرجى ما تكون لمفاجأة ، يعتبر لدى العارفين أكبر جريمة يمكن أن ترتكبها جماعة أسند اليها الاضطلاع بعمل عالمى عظيم . فنشطوا لترجمة معانى القرآن الكريم الى أمهات اللغات العالمية ، خروجا من هذه التبعة ، وإعذارا الى الله بهذا العمل ،

لتعمل آيات الله فى العقول والقلوب ، وهى فى مزدحم الآراء والمذاهب التى تغلى بها رءوس القادة وتفيض منها على ألسنتهم ، ماعملته فيما سلف ، ولتريهم أن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، فينفتح له طريق الى ضمائر الناس وألبابهم ، فقد رأوا من آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم مايريهم رأى العين أنه هو الحق الذى يعوزهم ، كما وعد الله بذلك فى قوله : «سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد» ؟

يقولون : هذا كلام لا شية فيه ولكن يكفى أن تؤلف رسائل تبين أغراض الاسلام وأن تنشر هذه الرسائل بين الأمم . و[illegible]تهم أن الاقتصار على الرسائل لايفى بالغرض المقصود ، ولا يخلينا من تبعة كتمان ما أنزل الله لأسباب كثيرة ، أهمها :

(ا) أن الأمم لا تقبل على قراءة هذه الرسائل كما لا تقبل نحن على قراءة رسائل المبشرين ، اعتقادا من تلك الأمم أن هذه المطبوعات تكتب للدعاية ، وأنها يتحرى فيها التأثير الخطابى ، والخلابة الكتابية .

(ب) أن الخصوم يستطيعون أن يقاوموا رسائلنا برسائل مثلها ، مدعين أن ما نكتبه فيها ثمرة ما حصلناه من علومهم ، لا ثمرة تعاليم كتابنا ، وقد كتبوا عنه أنه غذاء عقيم لأهله . (انظر كتاب رسائل فى الدين للمبشرين باللغة الانجليزية) .

(ج) أن الأمم المعاصرة لا يقنعها أن تأخذ الشىء بالواسطة ، وبفهم سواها له ، وإنما تريده من مصدره الأول . وتدعى أنها تفهم منه أكثر مما يفهمه أهله الأخصون . فترجمة معانى القرآن والحالة هذه أصبحت فى هذا العصر أمرا لامناص منه ، قياما بالعهد الذى فى أعناقنا له ، وإلا استحققنا ما يوعد الله به المقصرين فى تبليغه .

يقولون : إن القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ،

فإن سلمنا لكم بترجمة معانى آياته المحكمة ، فلم تتشبثون بترجمة آياته المتشابهة ، أتريدون أن تثيروا شبهات على القرآن ؟

نقول : أأنتم أعلم أم الله ؟ إنه جل وعز أنزله محكما ومتشابها والعرب فى جاهلية جهلاء ، وأمية صماء بكماء ، وقد وصفهم فى عشرات من الآيات بأنهم كانوا لا يعلمون شيئا ولا يعقلون ، وبأنهم كالخشب المسندة ، وكالأنعام السائمة بل أضل سبيلا . والقرآن اليوم منتشر بين الأمم الاسلامية على ما أنزل عليه ، وفيهم أقوام لا يكادون يفقهون قولا ، أفلا يسعنا ما وسع الحق نفسه ، ووسع رسوله فبلغه كله ؟

إن هؤلاء لا يتهمون بسوء النية ، ولكنهم مغترون بالحصة الضئيلة من العقلية التى حصلوها ، ويغيب عنهم أن هذه الآيات المتشابهة جزء لا ينفصل من القرآن ، وربما انكشفت منها آية واحدة لبعض أهل البصائر فملأ منها طباق الأرض نورا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

يقولون ان ترجمة القرآن لا تجوز :

يقولون هب أن كل ماتقوله حق ولكن ما العمل وقد أجمع الأئمة أن ترجمة معانى القرآن لا تجوز ؟

نقول : يا لضيعة العلم ! أفى مثل هذا البلد الذى يعتبر مثابة للاسلام ، وبين ظهرانى الألوف المؤلفة من علمائه ، يتجرأ المتجرئون على اتهام أئمة الدين الأولين بحصر معانى كتاب الله فى اللغة العربية وعدم تعديتها الى الأمم التى كلفنا بابلاغها اليهم ؟

فانظر الى أى دركة وصل بعضنا فى تدهوره من إغفال الناحية العالمية للاسلام ، حتى أصبح لا يسعهم ما وسع آباءنا الأولين من لدن القرن الأول ، بل ما وسع النبى صلى الله عليه وسلم إذ سمح بأن تترجم الفاتحة ويقرأ بها مترجمة فى الصلاة . وقد بنى أبو حنيفة مذهبه على هذه الحادثة .

ألا تعجب ؟

نعم ، ألا تعجب من قوم أوتوا كتابا نص فيه على أنه للعالم كافة ، لا لقوم خاصة ، وأمروا أن يقوموا بتبليغه الى الناس فى مشارق الأرض ومغاربها ، فقام أوائلهم بما تسنى لهم القيام به من ذلك على الطريقة التى كانت مألوفة فى زمانهم ،فلما آل الأمر الى أهل هذا الجيل ، وتغيرت سنن التبليغ ، وقامت العوامل الأدبية مقام العوامل المادية ، وثقلت عليهم تبعة التقصير ، فهبوا يجرون على سنة العصر ، بترجمة ذلك الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، وفاء بما حملوه من هذه الوديعة ، هب منهم قوم يدعون بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، وقد بلغ منهم الذعر المنصنع غايته ، وأخذ منهم الهلع المتكلف مأخذه ، يلتدمون صدورهم هما وكمدا ، ويذرفون الدموع الحرى كربا وأسفا ، ويتعاهدون على عرقلة هذا المشروع بكل وسيلة ؟ !

على أى شىء كل هذا ؟ أوراءه تحريف القرآن العربي المبين ؟ أم حلول الترجمات محله عند المسلمين ؟ أم ضياع جلال الدين ؟ أم تمكين الكافرين من رقاب المؤمنين ؟ أم فتح الثغور الاسلامية للغزاة والفاتحين ؟

أتتعدى المسألة مهما بولغ فى تهويلها ، واستهتر فى تدليسها ، أن طائفة من المسلمين قاموا يعملون ما فيه خلاف بين فقهاء المذاهب وأكثرهم يرى أنه عمل جائز شرعا بل هو مستحسن .

فهل يسع هؤلاء المتظاهرين بالغيرة على الدين أن يناموا ملء عيونهم وقد طمت البدع فى المسلمين ، وانتشرت الاباحة بين الناس أجمعين ، وعم الفساد الأبعدين والأقربين ، ولا يسعهم أن يغمضوا الطرف عن أمر كل ما يمكن أن يقال فيه أنه مخالف لرأى بعض العلماء المتقدمين ؟

فبماذا تعلل ماهم فيه من الهم الناضب ، والقلق الواصب ، وقد ثبت للناظرين بكل دليل أن ترجمة القرآن يجوزها أكبر مذهب فى المسلمين ، ويستحسنها جمهور من العلماء الممتازين ، من جميع مذاهب المتقدمين ؟

أنا أترك التعليل للقارئين .

من أين يأتى المعارضون بأدلتهم ؟

لعلك تقول بعد هذا كله : إذا كان الأمر كما تذكر فمن أين يأتى الذين يعارضون هذا الموضوع بالأقوال من كتب المذاهب معزوة الى علماء مشهورين فيها ؟

نقول اليك بيان هذا الأمر :

إن الذين يتولون المعارضة فى ترجمة معانى القرآن الكريم فرقتان : إحداهما تستهتر فى معارضتها قصورا منها فى العلم ، وقصرا فى النظر . وثانيتهما جريا وراء اعتبارات نتأثم أن نخوض فيها رجما بالغيب .

وقد اتفقت الفرقتان على القول بأن المسلمين (أجمعوا) على عدم جواز ترجمة معانى القرآن ، وهم لاثبات هذا القول يكثرون من إيراد عبارات يتصيدونها من كتب الفقه ، أثرت عن الذين كانوا يقولون بعدم الجواز ، مغفلين من عداهم من القائلين بجواز ترجمته ، إيهاما للناس بأن إجماع المسلمين انعقد على تحريم الترجمة .

ولا يخفى على أحد أن حرية البحث أصل من أصول الاسلام ، حتى لا تكاد تجد مسألة فرعية لم يحدث فيها خلاف ، ليس بين أصحاب المذاهب المختلفة فحسب ولكن بين علماء كل مذهب منها أيضا . ومسألة ترجمة القرآن هى إحدى هذه المسائل التى عرضت للمسلمين من أول ظهور الاسلام واختلفت فيها الآراء .

فترى أصحابنا المعارضين يعمدون الى جمع الآراء المعارضة فى صعيد واحد ، ليظن كل من يلقى بنظرة عليها أنهم يسوقون الفقه كله بين أيديهم إيهاما للعامة ومن فى حكمهم أن المسلمين الأولين كانوا يحرمون ترجمة القرآن الكريم تحريما باتا ، وأن القائلين بوجوب ترجمته من المعاصرين مبتدعون ، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء على المصلحين ، شأن إخوانهم المثبطين فى جميع أدوار النهضات الاجتماعية والأدبية .

ونحن لوقاية الناس من خطر هذا التلبيس الشنيع نضطر هؤلاء المتبطين الى حصر بحوثهم فى مجالات محدودة ، بطرح هذه الأسئلة عليهم ، وهى :

هل قال أبوحنيفة بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما للعاجز عن العربية أم لا ؟ وهل نصت على ذلك كتب الأحناف قديما وحديثا أم لا ؟

وهل على مسلم من باس أن يتمذهب بمذهب أبى حنيفة الملقب بالامام الأعظم ويعتبر مسلما سنيا أم لا ؟

وهل يعتبر ابن حجر شارح البخارى ، وابن بطال ، والشاطبى صاحب الموافقات ، والمقدسى ، والامامان محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحبا أبى حنيفة ، وجميع من استشهدنا بأقوالهم فى جواز ترجمة القرآن ، مسلمين سنيين أم لا ؟

شبهات طريفة على ترجمة القرآن :

إن شئت أن تعرف أمثلة من هذه الشبهات الطريفة فاليك :

كتب واحد منهم فى المقطم يقول ما خلاصته : لو ترجم القرآن الى لغة أجنبية استطاع أهل تلك اللغة أن يدعوا أن هذه الترجمة هى أصل القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يوعزون الى بعض رجالهم بترجمته الى العربية فى لغة سقيمة ، ويشيعون هذه الترجمة بين المسلمين موهمين إياهم بأنها هى القرآن نفسه ، فيضيع أصله وتبقى هذه الترجمة الساقطة بين أيدى الناس ، فيصيب القرآن ما أصاب الكتب الالهية التى نزلت قبله من ضياع الأصول وبقاء التراجم .

بخ بخ ! فلا تسأل هذا العالم ، وأين تكون ملايين الملايين من القرآن العربى المبين إذ ذاك ؟ وأين يكون الثمانون مليونا من الذين يتكلمون العربية ويعرفون قرآنهم كما يعرفون أبناءهم عند ظهور هذه الفتنة ؟ وكيف يمكن أن يروج مثل هذا الافك بين الألفى مليون نسمة من سكان الأرض ؟ وكيف يتفق هذا ووعد الله بحفظه من كل سوء ؟

قلت : لا تسأله عن شىء من هذا فقد يسمعك ما هو أشد منه إيلاما للعقول .

شبهات من طراز آخر :

وقد قرأنا فى المقطم أيضا لفضيلة الشيخ محمد سليمان أن فى ترجمة القرآن أخطارا على أصل الدعوة الاسلامية ، وعزة اللغة العربية ، ومجد هذا الوطن .

فنحن نسأل فضيلته : كيف يعقل أن تكون فى ترجمة القرآن أخطار على الدعوة الاسلامية وقد شرط العلماء أن تكون تلك الدعوة بلسان الأقوام المدعوين وبالانتقال اليهم فى بلادهم ؟

وهل يرى الأستاذ قولا أقوى حجة ، وأفعل فى النفس ، وأدخل الى مواطن الاقتناع من كلام الحق نفسه ؟ لقد قرأ الفيلسوف الانجليزى برنارد شو نسخة القرآن المترجمة الى الانجليزية فقال : « إن الديانة الاسلامية كفيلة باسو جراح الانسانية ، وإن العالم المتمدن قد بدأ يفهمها على حقيقتها ، ولا أظن أنه يمضى عليها قرنان حتى تكون قد أسلمت كلها » .

وقال العبقرى الكبير جوت الألمانى بعد أن قرأ ترجمة القرآن : « لو كان الدين الاسلامى هو هذا فنحن إذن فيه » .

وقال نديده الكبير كارليل الانجليزى مثل قوله . وقال غيرهم من كبار العقول مثل قولهم . وليس فيهم واحد يعرف حرفا من اللغة العربية ، وإنما هم نظروا فى هذه التراجم القاصرة التى بين أيديهم . فهل يقال بعد هذا إن فى ترجمة القرآن ترجمة صحيحة أخطارا على أصل الدعوة ؟

ماهى الدعوة التى تكون ترجمة القرآن خطرا عليها ؟ أهى الدعوة باللغة العربية ؟ هب أن رجلا قام يدعو للاسلام فى بلد أجنبى فقيل له أين كتابه ؟ فقال لهم إن كتابه تستحيل ترجمته الى لسانكم . فسئل ولماذا ؟ فأجاب لأن علماء المسلمين يحرمون ذلك . أفتظن أن جوابه هذا يكون فى مصلحة الدعوة الاسلامية ؟ بل هل فى العالم من يعقله ويعطف على القائلين به والعاملين عليه ؟

أفلا يكون ذلك موجبا للسخرية فوق ما هو عليه من الصد عن الدين ، والاستخفاف بعقلية أهله أجمعين ؟

ننظر فى الأخطار المتوقعة من الترجمة على عزة العربية :

الذى يعرفه الناس قديما وحديثا أن شرف اللغة وكرامتها ، ومكانة أهلها من الذخر الأدبى يكون بقدر ما يترجم عنها الى اللغات الأجنبية . فاذا عرضت أمام عينك أعز أمم الأرض اليوم كانجلترا وفرنسا والمانيا وغيرها ، رأيت لغاتها أكثر اللغات عرضة للترجمة . فلا يكاد يصدر فيها كتاب قيم حتى يترجم الى أكثر لغات العالم . وهذا فى عرف الناس من أجل مفاخر لغات تلك الأمم

ولما كانت الأمة العربية فى أبهة سلطانها كانت الأمم كلها عالة على لغتها ، تترجم عنها ما ترى أنه يفيدها ، ولم يقل أحد إن ترجمة كتبها كانت تقدح فى عزة لغتها .

فان كان المراد أن تولينا نحن ترجمة القرآن بأنفسنا يقدح فى عزة لغتنا ، فنحن مضطرون الى ذلك من ناحيتين : أولاهما أن الأوربيين ترجموا القرآن تراجم سقيمة لا نرى مندوحة من تقويمها ، ولا يسعنا تركها على حالها . وثانيتهما أن مصلحة الدعوة تحفزنا الى ذلك لأننا مكلفون بها شرعا ، والدعوة بالقرآن أبلغ ما يصل اليه الامكان ، وهو المأثور عن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، فانه كان إذا أراد أن يدعو قوما قرأ عليهم ما تيسر منه ، فلا يجدون محيصا من التسليم به . قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وقال تعالى : «وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » أى وسائر من بلغه من عموم الخلق . وقال تعالى: « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد»

إذا كان الأمر كما ترى فلماذا نعدل عن هذه الطريقة الى غيرها ؟

يقول المتعنتون : الذى أمرنا أن نذكر به هو القرآن العربى لا ترجمته . نقول: إننا نذكر بالقرآن من يفهمه . فأما من لا يفهمه من الأجانب فنذكرهم

بترجمته ، كما ذكره ابن حجر فى شرح البخارى نقلا عن ابن بطال . ولا باس أن نعيد قوله هنا فقد قال : « إن الوحى متلوا أو غير متلو إنما نزل بلغة العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحى عربى ، وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » انتهى .

لننظر فى ضرر ترجمة القرآن بمجد هذا الوطن :

لم نسمع قبل اليوم أن تصدى أمة لترجمة كتابها المقدس بقصد تقويم الترجمات التى صدرت عنه ، وبقصد القيام بدعوة عامة للدين الذى يدعو اليه يقدح فى مجد وطنها ، ويحط من كرامته .

ولكن الذى سمعناه ورأيناه بأعيننا أن أعز الأمم جانبا فى هذا العصر تترجم كتبها المقدسة الى أحط اللغات العالمية ، وتعنى بطبعها وتجليدها وتوزع ملايين من نسخها بالمجان ، ولا يشعر أحد فى تلك الأمم العزيزة أن مجد وطنها قد مس بسوء أو أصيب فى كرامته ، بل اعتبر الناس جميعا أن هذا العمل قد أضاف مجدا الى مجد تلك الأمم ، وزادها شرفا على شرف . إن كان شعور المسلمين بالجادة والسؤدد ، أشد فى عهد منه فى أى عهد آخر ، فقد كان ذلك فى القرون الأولى من ظهور دينهم ، وكان العالم كله يعترف لهم بهذه الجادة ويدين لها فعلا . ومع هذا فقد ظهر القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما لمن لا يعرف العربية فى القرن الأول ، وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ ترجم سلمان رضى الله عنه فاتحة الكتاب الى الفارسية وصلى بها بعض من أسلم من الفرس ، وأصبح هذا الجواز فى القرن الثانى ، أصلا مذهبيا فى أكبر مذاهبهم الفقهية . وأبدى كثير من كبار علماء المذاهب استحسانهم للترجمة دون الصلاة بها كما رأيته هنا .

وقد تنازع أصحاب المذاهب فى مسألة الصلاة بالترجمة أو بطلانها ولم يذكر واحد منهم فى الشبهات التى أدلى بها أن ترجمة القرآن تضر بمجد المسلمين أو تقدح

فى كرامتهم . فهل يعقل أن نكون أكثر منهم شعورا اليوم بهذا المجد فى هذا العهد ؟

أليس مما يزيد مجد هذا الوطن أن يعلم الناس أن لأهله دينا قيما ، وكتابا معجزا ، بدل أن يتوهموا أن دينا مناسب لدرجتنا من التقدم ، وأننا نتخلى عنه متى اجتزنا دور الانتقال الذى نحن فيه ؟ أليس هذا هو سرحوم دعاة الملل حولنا ، وتحككهم بنا ، طمعا فى تصيدنا الى مللهم ؟ ألم يقل الأستاذ هانوتو إن الاسلام يصلح قنطرة من الوثنية الى المسيحية ؟

إن هؤلاء الدعاة يستمدون كبار الأغنياء فى العالم الجديد الحديث بدعوى أننا على دين ساذج لا يناسب التمدن ، ولا يقوى على البقاء معه ، وأولئك يصدقونهم فيما يقولون ويبذلون لهم القناطير المقنطرة من الذهب ، ليستمروا فى دعايتهم . ولكن لو قرأ هؤلاء الأغنياء ترجمة القرآن التى يصدرها الأزهر ، ويكفى أن يعلن أنه مصدرها لتقرأ ، فانهم يدركون أن للمسلمين دينا لا يهدم ، فيكفون عن مساعدة هؤلاء الدعاة أو يقللون من إمدادهم .

فهل تزيد مثل هذه النتائج المنتظرة فى مجد هذا الوطن وسائر الأوطان الاسلامية أو تنقص منها ؟

كفى هذا البيان ، ولا أريد على ما سألت جوابا .

الرأى العام الانجليزى وكتاب الصلاة :

ومما كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان فى المقطم تنويها بسلطان الرأى العام أن قسوس الانجليز رموا منذ أعوام الى إحداث تغيير فى كتاب الصلاة فأبى عليهم الرأى العام ذلك وبقى نصه على ما كان عليه .

يريد الأستاذ من إيراد هذه المسألة أن للرأى العام أن يضطر مشيخة الأزهر الى العدول عن ترجمة القرآن .

وهذا قياس مع الفارق ، فان قساوسة الانجليز كانوا أرادوا أن يحوروا

نص عبارات الصلاة بما يجعلها أكثر ملاءمة للأفكار الحديثة فى مقابل وضع صيغ فيها تقرب من الكاثوليكية ، فتصدى لهم المحافظون وتمكنوا من التأثير فى مجلس العموم على إبقائها على ما كانت عليه ، فافترع ضد التعديل ، وبقى نص الصلاة على ما كان عليه . ولكن هل منعهم حق ترجمته الى عشرات من اللغات الانسانية زاعما أن ذلك يحط من كرامة الوطن ، أو يسقط من مجادته ؟ بهذا كان يصح القياس لا بابقاء نص الصلاة على ما كان عليه .

أين هذا من موقف الأزهر اليوم ؟ إنه يرى أنه قد صدرت ترجمات عديدة للقرآن الكريم بأكثر اللغات الحية كلها مصدرة بمقدمات تقدح فى قداسة الاسلام ، وفى صدق رسوله ، وليس فيها واحدة يمكن الاعتماد عليها ، ويرى أن سكوته حيالها إقرار ضمنى بصحة ما جاء فيها . وفى ذلك إثم كبير بل خطر عظيم على الاسلام والمسلمين . أفلا يكون من أهم ما يجب أن يعنى به الأزهر وضع ترجمة صحيحة لمعانى القرآن الكريم تتلافى ضرر الأخطاء الفاحشة التى جاءت فى تلك التراجم الكثيرة ، فيقف الناس على حقيقة الاسلام من مصدره الأقدس ، وبخاصة فى هذا العهد الذى تغلى فيه الرءوس فى أوربا وأمريكا وآسيا بطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ، وإزاء حركة المؤتمرات الدينية التى تعقد كل عام فى عاصمة من أكبر عواصم الأرض ؟

أمن الورع أن يقف المسلمون جامدين مكتوفى الأيدى أمام أمثال هذه الحركات الفكرية والروحية لينوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحا نكافح به فى ميدان هذا الجهاد الفكرى فى هذا العصر المنير ؟

ألا يعتبر جمودنا هذا من إضاعة الفرص السانحة ، وإغاثة الظروف الملائمة ؟

يخيل الى أنه لو جمد الأزهر على النحو الذى يشير به الأستاذ الشيخ محمد سليمان اليوم ، وبت فى العالم أمر من الأمور الدينية غدا ، لجاء فضيلته يملأ الجو صياحا قائلا : أين كان الأزهر والافكار فى إبان غليانها ، والبحوث فى أشد ثورانها ، ألا كان يجب عليه آن يزج بنفسه فى هذه المعمعة السامية ، فيرفع شأن الاسلام كما هو به خليق ، ومنه أولى ؟

يقولون نعم ، ولكن أولى من ترجمة القرآن الاكثار من الرسائل والكتب .

هيهات ! لا يعقل أن توجد أداة لنشر الاسلام تضارع القرآن ، وليس فى قدرة البشر أن يبتكروا أسلوبا كأسلوبه فى جذب العقول والأرواح . والترجمة إن حجبت إعجازه اللفظى فلا يمكن أن تحجب إعجازه المعنوى وهو الذى عليه المعول وبخاصة فى هذا العصر .

واخجلتاه أن بعض المسلمين يعملون على صد نور القرآن أن يملأ آفاق الأرض ، بحجج ما أنزل الله بها من سلطان ، بل بشبهات لا تمت الى العلم ولا الى العقل بأبعد صلة ، هداهم الله !

بلغاريا تنشئ كلية للغة العربية :

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان فى كلمته التى كتبها فى مقطم ٢٢ ابريل الحالى : إن حكومة بلغاريا قررت إنشاء كلية إسلامية تدرس العربية فى صوفيا لمسلميها .

يقول الأستاذ هذا وهو يعلم من قراءة تلغرافات الجرائد ، أن المسلمين يكابدون فى بلغاريا قلقا سياسيا اضطرهم للهرب جماعات جماعات الى البلاد التركية ، وكثيرا ما اضطر بوليس الحدود البلغارية لاطلاق النار عليهم . وقد أكثرت تركيا من لفت نظر الحكومة البلغارية الى ذلك .

وفضيلته يعلم أن الشيوخ الأتراك خارج تركيا ناقمون كلهم على الحكومة الكمالية ، وعاملون على تسوئة سمعتها ، ومعاكسة تجديداتها ، وأن بعض الدويلات البلقانية تشجعهم على ذلك ، ولكننا نستبعد أن تنشئ بلغاريا مدرسة لتعليم العربية ، لأنه لا يعقل أن تنشئ الحكومة هنالك كلية تنفق عليها الألوف المؤلفة وهى فى حاجة ماسة الى مثلها لتعليم أبنائها لغتهم الوطنية ، ولا تسمح لها سياستها المالية بانفاق درهم واحد لنشر لغة أجنبية .

أندنوسيا وتعليم اللغة العربية :

يقول فضيلة الشيخ محمد سليمان : إن المسلمين فى أندنوسيا أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم اللغة العربية .

نقول : أندنوسيا اسم يطلق على مستعمرات هولاندة فى القارة الأفيانوسية وهى جزر جاوه وسوق وسليب وأباجه وجزائر الملوك وأجزاء من جزر أخرى يقدر عدد سكانها بنحو ستين مليونا سوادهم الأعظم مسلمون ، وفيها جالية من عرب حضرموت وغيرها قصدوها للتجارة ، وأسسوا فيها مستعمرات عربية خاضعة للحكومة الهولاندية .

التعليم فى أندنوسيا فى يد الحكومة الهولاندية ، وقد سمحت للأهالى بتأسيس مدارس على طراز كتاتيبنا المصرية ، يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الخ ، ومعظم الشعب على حالة أمية مظلمة ، وجهل مطبق ، ولهم لغة خاصة بهم لا تمت الى العربية بأضعف صلة ، ولشدة ولع الأندنوسيين بالاسلام ترجمت لهم بعض الكتب الاسلامية ، ككتاب التوحيد للامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وكتاب المدنية والاسلام ، وكتاب الاسلام دين عام خالد لمؤلف هذه الرسالة .

فاذا كان للأندنوسيين خمسمائة مدرسة فهذا عدد ضئيل جدا بالنسبة لعددهم الضخم . فانه إذا كان فى مصر نحو عشرة آلاف مدرسة يتعلم فيها نحو مليون من التلاميذ ، والتعليم عندنا لم يبلغ الدرجة الالزامية لجميع الأفراد كما هو فى البلاد المتمدنة ، فيجب أن يكون عدد المدارس فى أندنوسيا أربعين ألف مدرسة وأربعة ملايين تلميذ لتصل الى الدرجة التى نحن عليها . فأين الخمسمائة مدرسة من مثل هذا العدد ، وما قيمة ما تنتج هذه المدارس من عارفى اللغة العربية بعد دراسة أربع أو خمس سنين ، ولهجتهم أعجمية باحتة ، وأنت خبير بحظ اللغة العربية عند من تنتجهم أمثال هذه المدارس عندنا فى مثل تلك المدة ولهجتهم أصولها عربية ؟

فتمنية النفس بتعميم اللغة العربية فى بلاد المسلمين الذين لغاتهم أعجمية بمثل هذه الوسائل ، يعتبر اشتغالا بالأوهام ، وتسليا بالأحلام ، وليس ذلك من مصلحة الدين فى شيء .

إن توحيد اللغة فى أربعمائة مليون نسمة من المحالات العقلية ، ولو أمكن لسعى اليه قبلنا الأوربيون ، فان صلاتهم الاقتصادية والسياسية تدعوهم لذلك ، ولكنهم لم يعيروه أقل اهتمام ، حتى إن لغة الاسبرنتو العالمية التى وضعها (زمنهوف) ، وحصر أجروميتها فى ست عشرة قاعدة فقط ، وأدخل اليها جميع المحسنات اللغوية ، قاصدا أن تكون لغة العالم المتمدن كله ، ظلت تعالج اللغات القومية خمسين سنة فلم يرفع بها أحد رأسا ، رغما مما ينتظر منها من التقريب بين الشعوب ، ومن تحقيق الوحدة المرجوة بينهم .

فالذى يتوقع أن يكون فى الشعوب الاسلامية غير العربية هو أن تنتشر بينهم بعض اللغات الأجنبية ، مما تدعوهم ضرورة العيش لتعلمها وحذقها كما هو جار فى كل بلد من بلادهم ، أما ما لا تدعوهم ضرورة العيش اليه ، ولكن تعطفهم العاطفة الدينية عليه ، كاللغة العربية ، فلا يحتمل أن ينتشر بينهم إلا بنسبة ضئيلة جدا لا يحسب لها حساب .

أندونوسيا تطلب ترجمة للقرآن :

تدليلا على كل ما ذكرناه فى الفصل المتقدم ننقل للقراء ما رأيناه منشورا فى محليات جريدة البلاغ المصرية الصادرة فى (٢٦ ابريل سنة ١٩٣٦) وهو هذا بحروفه :

« فى الوثائق التى نشرها (البلاغ) ونشرتها الصحف فى الأسبوع الماضى عن مشروع ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الغربية ، جاء ذكر الترجمات التى أذيعت بهذه اللغات ، وما جاء فى بعضها من الخروج والتحريف وضرورة وضع ترجمة دقيقة صحيحة تشرف عليها جهة من جهات الاختصاص ، قطعا لمثل هذه الترجمات المغلوطة ، وعملا على إذاعة المعانى السامية التى تضمنها القرآن الكريم

بين أهل اللغات الغير العربية من أهل الديانات الأخرى ، وبين المسلمين الذين لا يعرفون هذه اللغة .

« فنقول اليوم : إن صاحب الفضيلة السيد محمد نصيف العالم المكى تلقى فى الشهر الماضى كتابا من جزائر جاوا (وهى أكبر جزر أندونوسيا) يتضمن حاجة المسلمين فيه الى مثل هذا العمل وتفكيرهم فيه .

« وخلاصة هذه الرسالة أن التعليم الشائع بين سكان تلك البلاد يقوم باللغات الأفرنجية ، وفى مدارس لا تعلم اللغة العربية . ولذلك يقرأ المسلمون وأولادهم فى تلك المدارس القرآن الكريم فى تراجم قام بها مترجمون غير موثوق بأماناتهم ، بل إن بعض هذه التراجم كان لها أثر فى إفساد عقائدهم ، لأن بعض القائمين بها كانوا من المبشرين أو من أتباع مذهب الأحمدية فى الهند . والذين يقرءون القرآن الكريم فى هذه التراجم لا يعرفون ذلك . ويعتقدون أن ما يقرءون هو القرآن الصحيح .

« ثم يقول صاحب الرسالة : إنه بعد أن رأى هذا التحريف فى هذه الكتب ، وتيقن خطرها على عقائد المتعلمين فى المدارس الأفرنجية من أهل تلك البلاد ، نهاهم عن القراءة فيها ، فطلب منه بعضهم أن يتوجه الى أهل الرأى من المسلمين ، طالبا منهم العمل على نشر ترجمة للقرآن الكريم يقرها علماء المسلمين ، مع وضع تفسيرات وتعليقات وبيان ما فى بعض الآيات من الوجوه والمعانى التى تفهم من الآيات ، لأن الترجمة الحرفية بدون تفسير لا تقوم بتفهيمهم القرآن وأحكامه .

« ثم قال : إن وجود هذه الترجمة ضرورى لبقاء المتعلمين فى المدارس الأفرنجية من أبناء المسلمين على حب دينهم وفهمه ، بل فيه إنقاذ لعقائدهم بوجود ترجمة يقوم بها مترجمون موثوق بهم يستغنون بها عن التراجم التى سبق وضعها ، ولأن نشر هذه الترجمة بين غير المسلمين يفيد فى البيان عن الاسلام وآداب القرآن وأحكامه وفى إبلاغهم الدعوة المحمدية بلغتهم .

* * *

« ونقول بعد ذلك : إن هذه الحاجة التى يشعر بها المسلمون فى جزائر جاوا

وغيرها من البلاد الاسلامية الغير العربية دفعت فريقا من علماء المسلمين فى الهند الذين يتقنون اللغة الانجليزية الى ترجمة القرآن الكريم مع وضع تفسيرات وتعليقات على هذه الترجمة . وقد انتهوا من ترجمه ثمانية عشر جزءا ، وقد أشرنا الى ذلك من نحو ثلاثة شهور .

« وقد علمنا أنه بعد الانتهاء من ترجمة الأجزاء الباقية ستكون لجنة للاشراف على طبعها وإذاعتها .

« أما كاتب هذه الرسالة التى لخصناها قبلا فهو العلامة السيد عبد الله بن صدقة دحلان فى جاوا » انتهى ما استعرناه من البلاغ .

نقول : وقد أورد البلاغ فى العدد الصادر منه فى ٢ مايو أن جمعية تكونت فى حيدراباد الدكن ، وأتى على أسماء العلماء ورجال الدولة الذين يقومون به .

هذا ما حدث من أهل أندنوسيا الذى يقول عنهم الأستاذ الشيخ محمد سليمان إنهم أسسوا خمسمائة مدرسة لتعليم أبنائهم اللغة العربية . والذين يقومون بترجمة القرآن هم علماء الهند السنيون ، وهم مشهورون بالورع ، وباحترام التقاليد الاسلامية .

الذى يؤثر من ورع علماء الهند أنهم منذ الاحتلال الانجليزى الى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانوا يفتون بعدم جواز تعلم اللغة الانجليزية ، ودخول المدارس التى تؤسسها الدولة المحتلة ، حتى إنه لما رأى المصلح الهندى الكبير أحمد خان أن إضراب المسلمين عن دخول تلك المدارس جعلهم دون الطوائف الوثنية ثقافة ، وأبعدهم بسبب جهلهم عن تولى الوظائف الحكومية ، ومشاطرة الهندوس حظهم منها ، أهاب ببنى قومه لتأسيس جامعة إسلامية ، فأفتى العلماء الهنديون إذ ذاك بأنه زائغ العقيدة لارادته التعليم فيها باللغة الانجليزية . فقبض الناس أيديهم عن مساعدته ، وكاد يفشل فى مساعيه ، لولا أن بعض راجات الهنود وأمرائهم أمدوه بالمساعدات المالية سرا ، فتمكن من إنشاء جامعة عليكرة التى كانت مصدرا لنشر الثقافة بين المسلمين هنالك ، فاستطاعوا

بفضلها أن يحصلوا على بعض الوظائف الحكومية . واستنارت أفكار الناس هنالك ، فأدركوا أن من الدين مجاراة ناموس الارتقاء ، وأن سماحة الاسلام لا تضيق ساحتها دون طالب كمال ، وأن الأعمال بالنيات ، لا بالظواهر ولا باللغات .

اليابانيون وطبع القرآن الكريم :

يقول الأستاذ الشيخ محمد سليمان : « واليابان قد فرغت قريبا من طبع مصحفنا بلغته العربية لتنشره فى أصقاع الشرق الأقصى » .

نقول : الذى يتبادر للذهن من هذه العبارة أن اليابانيين الذين لا يعرفون حرفا من اللغة العربية قاموا بنشر الكتاب الكريم بالعربية ، لنشره فى بلادهم وبلاد الصين وكوريه ومنشوكو وسيام الخ .

واليابانيون لو أقدموا على هذا العمل لعدوا هازلين ، وإلا فاى فائدة ترجى من نشر كتاب عربى بين قوم لا يستطيعون أن يقرءوا منه حرفا واحدا ، بله أن يفهموه ؟ فهل عهد عن أمة اليابان المعروفة بالحكمة وسداد الرأى أن تقوم بعمل يوجب عليها السخرية ، ويسجل عليها السذاجة الى هذا الحد ؟

وحقيقة المسألة أنه توجد جمعية إسلامية قوامها بعض الأتراك والفرس والهنود يعملون على نشر الاسلام فى بلاد اليابان بلغة أهلها . وجلهم متنورون ويعرفون العربية ، وقد طبعوا القرآن طباقا للنسخة المطبوعة أخيرا فى دار الطباعة المصرية بأمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، ليتداولوه بينهم وبين من يعرف العربية ممن يلتحق بهم ، لا بقصد أن ينشروه بين اليابانيين الأقحاح ممن لا يعرفون العربية .

أما فيما يتعلق باليابانيين أنفسهم فقد وردت أخبار على الجرائد المصرية بأن رجالا من الذين يحذقون اللغة اليابانية قائمون الآن بترجمة القرآن الى تلك اللغة ، وأن الحكومة شجعتهم على ذلك وأمدتهم بمال . وقد كتبنا أخيرا لزعيم هذه الجمعية اليابانية نستفهم منه عن المدى الذى بلغته لجنة الترجمة فى عملها العظيم الذى شرعت فيه منذ نحو عام .

رسالة الرد

على مشروع ترجمة القرآن الكريم

وقفنا على رسالة وضعها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر قاضى محكمة شبين الكوم الشرعية بالعنوان المتقدم يعارض بها مشروع ترجمة القرآن الكريم . وقد ضمنها بحوثا وبيانات لا نرى بدا من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكوتا عنها بعد وقوعها فى أيدى الدهماء يوهم أن ما جاء فيها مسلم به من جميع الوجوه . وقد قدم فى رسالته أربعة عشر وجها منعيا ، لفت اليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . ونحن نلخص هذه الوجوه ونناقشه فيها واحدا واحدا فنقول :

أولا :

قال الأستاذ ما ملخصه : ليست اللغات التى يقرأ بها الانجيل اليوم هى لغته الأصلية ، ولا يخفى ما فى ترجماته هذه من قصور . وقد قيل إنه اجتمع لترجمته سبعون حبرا لتعميم نشره بين الأمم فكانت نتيجة ذلك مع تطاول الزمن أن ذهبت اللغة الاصلية والناطقون بها ، وذهب الأصل إلا بعضا منه فى بعض المكاتب .

نقول :

ما ذكره الأستاذ خطأ كله ، فلا يوجد نصرانى فى العالم يعتقد أن الله أنزل على عيسى عليه السلام كتابا اسمه الانجيل بلغة إلهية ، اجتمع لترجمته سبعون حبرا . ولكنهم يقولون بوجود أناجيل عديدة كتبها جماعة من كبار أتباع المسيح لنشر تاريخ حياته ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، واستيعاب جميع ما فاه به من التعاليم والوصايا .

جاء فى الموسوعة الصغرى للعلامة « لاروس » قوله : « الانجيل بل الاناجيل هى الكتاب المقدس المؤلف من أربع روايات وضعها القديس متى

والقديس مرقص والقديس لوقا والقديس يوحنا ، وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه » انتهى .

وقد كانت توجد أناجيل كثيرة فى العالم المسيحى ضمنت حياة المسيح وتعاليمه ، منها « إنجيل ميلاد مريم وطفولة المسيح » وضعه متى وكان منتشرا فى القرون الوسطى ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بباريز . و « إنجيل توما » وموجود بمكتبة فينا . و « إنجيل جاك الأصغر » و « انجيل نيكوديم » وكان شائعا فى القرون الوسطى ، وأثر ما لم تؤثره الأناجيل الأخرى على الآداب ، من جهة الاقتباس والاستشهاد . و « انجيل الطفولة » وهو منسوب للحوارى بطرس و « انجيل مرسيون » . و « انجيل برنابا » الخ الخ .

المسيحيون لا يرون بأسا من تعدد هذه الأناجيل لأنها معتبرة عندهم كتبا وضعت لرواية حياة المسيح وتعاليمه . ولكنهم قرروا فى مجمعهم أن المعتمد منها أربعة وقد كتبت بوحى من الله لواضعيها القديسين متى ومرقص ولوقا ويوحنا .

نعم إن الأصول الأولى لهذه الأناجيل قد فقدت ، ولكن المسيحيين لا يرون فى هذا ضيرا ، كما لا نرى نحن باسا فى ضياع النسخ الأصلية للسير النبوية وصحيح البخارى وجميع الكتب الاسلامية .

هذه حقيقة موقف النصارى من أناجيلهم ، وبتجليها يسقط بناء البحث الأول الذى اتخذه الأستاذ مؤلف الرسالة معولا لهدم مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم . فلننظر فى الوجه الثانى :

ثانيا :

قال الأستاذ القاضى ما موجزه : « إذا جاز للمصريين أن يترجموا معانى القرآن ، فانه يجوز ذلك أيضا للهنود والعراقيين والحجازيين وغيرهم . أفلا تكون فى الأسواق الأوربية جملة تراجم متخالفة للقرآن . وحينئذ يقال مثلا إن الترجمة الهندية خير من الترجمة المصرية أو العكس . وإذا وقع ذلك حصلت

الطعون فى التراجم والقرآن . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ، ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على انجيل برنابا الذى يقال إنه أصح الأناجيل » .

نقول :

هب أيها الأستاذ أن الشعوب الاسلامية تتنافس فى ترجمة القرآن ، وهذا بعيد يقرب من المحال ، ولكننا نسلم به جدلا . فاذا حصل فان يكون بينها خلاف ، لأن الترجمة المصرية مثلا ستعتمد واحدا من المعانى التى تحتملها بعض الآيات ، وتشير الى بقية الاحتمالات فى الهامش ، فاذا اعتمدت الترجمة الحجازية معنى آخر فهى مضطرة الى ذكر بقية الاحتمالات فى الهامش أيضا ، فيكون المعنيان المختاران ماثلين فى كل نسخة ، أحدهما فى الهامش والآخر فى الصلب ، ويكون ذلك فى نظر الأجانب موضع إعجاب فى التدقيق وتحرى الصواب .

يقول الأستاذ : إذا حدث ذلك حصلت الطعون فى التراجم والقرءان . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على انجيل برنابا .

نقول : إن الأستاذ جار على ما فهمه من أن الأناجيل تراجم للانجيل الالهى الأول ، وأنه مطعون فى صحتها عند الأوربيين . وقد بينا له فى الفصل المتقدم أنه لا وجود لهذه المسألة عند النصارى ، وليس فيهم من يقول إن انجيل برنابا أصح ترجمة للانجيل ، فليس إنجيل برنابا بترجمة ولكنه سيرة للمسيح كسائر الاناجيل وضعها برنابا تلميذ القديس بولس المتوفى سنة ٦٧ ميلادية . ولم يقل أحد من النصارى إن انجيله أصح الأناجيل ، بل قالها المسلمون بمعنى أن ما ذكره موافق للقرآن الكريم .

هذه حال الوجه الثانى الذى يستخدمه الأستاذ فى هدم المشروع الجليل ، فلننظر فى الوجه الثالث :

ثالثا :

قال الأستاذ ما مختصره : « إذا ترجم معنى القرآن الى الانجليزية ثم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية ، فما الرأى إذا تغير المعنى الأصلى فى الترجمة الثانية ؟ وما ذا يكون الحال إذا تنازع قارئان مسلمان أحدهما معتمد على الترجمة الانجليزية والآخر على الفرنسية ، فادعى أحدهما أن هذا المعنى أو ذاك غير موجود فى القرآن ، وادعى الآخر العكس ، أفلا يعتبر واحد منهما كافرا لامحالة ؟ كذلك يقال إذا كان فى الترجمة الانجليزية خطأ وأعيد طبعها وتكرر ذلك الخطأ » .

نقول :

الأستاذ يفترض أن الرجلين مسلمان ، فاذا كان كذلك فلا يوجد مسلم على سطح الأرض يتعصب لترجمة مأخوذة من ترجمة أخرى ، لم تعتمدها جهة رسمية ، وبخاصة لو نازعه منازع فى صحة ما هو بين يديه من الترجمة المأخوذة عن ترجمة أخرى لاعن الأصل العربى مباشرة . فهل يصح أن يفترض المحال لتأييد الآراء ؟ ولو سلمنا بأن مغفلا أو معتوها ارتضى لنفسه مثل هذا الشطط أفتعطل دعوة الاسلام العالمية لمثل هذه العلة التافهة ؟

وإذا ساغت أمثال هذه الافتراضات ، فلم لا نفترض أن كاتبا للقرآن أخطأ فى كتابة كلمات غيرت منه معنى عدة آيات ، ولا تخفى سذاجة النساخ ، فوقع هذا المصحف فى يد مسلم فقرأ هذه الآيات خطأ ، فلما أراد سامع له أن يرده الى الصواب أصر على ما فى مصحفه من هذه الأخطاء واعتبر كافرا . أفنقرر لهذا السبب التافه عدم جواز كتابة القرآن بأيدى المحترفين بهذه الصناعة وغير المحترفين بها أيضا ؟

رابعا :

قال الأستاذ فى رسالته ما محصله فى استشكاله الرابع : « إذا أجيز نقل القرآن الى اللغة الانجليزية ، أجيز نقله الى اللغة السودانية ، فهل يضمن أن لا يقرأ السودانى بعض القرآن بلفظ عربى وبعضه بلغته السودانية ؟ وفى هذا

تبديل وتغيير لألفاظ القرآن ، ويتبع ذلك اختلاف فى معانيها . وقد يتفق لبعض المتمدينين بمصر مثل ذلك ، فيقرءون منه ألفاظا بالعربية وأخرى بالانجليزية . فاذا اعترض عليهم احتجوا بان المشيخة تبيح قراءته باللغتين . فهل لجنة الترجمة أو مشيخة الأزهر تستطيع أن تضع للناس قواعد يلزمون بالسير عليها ؟

نقول :

إن هذا وجه استقطره الأستاذ من مادة المعارضة استقطارا متكلفا ، ولو صح أن يبنى على مثله حكم لا متنع الناس من عمل ضروريات كثيرة . لأنه يمكن أن يقال إن إباحة بيع المصاحف فى المكتبات يفضى الى وقوع نسخ منه فى أيدى بعض الكفرة فيضعونه فى بؤر النجاسات . وعليه فيجب تحريم بيع المصاحف فى المكتبات ، إلا لمن بيده شهادة من جهة الاختصاص بأنه مسلم حسن الاسلام.

ويمكن أن يقال : إن ما غصت به كتب الحنفية من جواز الصلاة بالقرآن مترجما لمن لا يحسن العربية يمكن أن يفضى الى أن بعض الذين يحسنونها يصلون بالتراجم الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية وغيرها ، وعليه فيجب على الحكومات الاسلامية محو هذا الفصل من كتب الحنفية وعدم السماح بدخول تراجم القرآن الأجنبية .

ويمكن أن يقال : قد تقع بعض الكتب التى ذكرت الفرق الاسلامية فى أيدى من لا يفهم الردود عليها فيصبح بسببها إباحيا أو مشبها أو دهريا فيكفر ، فيجب إبادة تلك الكتب وعدم السماح بطبع أمثالها .

ويمكن أن يقال غير هذا مما لو تابعنا الخيال فيه وجرينا عليه واستطعنا تنفيذه لأصبح الناس فى ظلام حالك من الجهل ، ولكانوا هم والسوائم فى حضيض واحد من العماية .

ولكننا نطبع القرآن بالعربية ، وننشط الناس على اقتنائه ، غير مبالين أن يكون فيهم كافر أو زنديق يفعل به ما بداله ، فان حسابه عند ربه ، وهو المسئول وحده عما جنت يداه .

وننشر كتب الحنفية والكتب التى تذكر الفرق والنحل ، ونعمل على

ترويجها لهداية الناس ، غير مكترثين أن تقع فى يد غبى أو مغفل فيصبأ الى بعض تلك المذاهب ، فتبعته على نفسه .

وكذلك نترجم معانى القرآن للذين لا يعرفون العربية غير آبهين أن يخلط بين الكتاب المنزل والمترجم طائش متهوس ، فان طائره فى عنقه .

فمن الذى يستطيع أن يلزم الناس بأدب لم يكتب إلا للأكرمين من خلق الله ، وكيف يعقل أن تمتنع الأمم عن القيام بالواجبات الثقافية خوفا من تخليط الحمقى والطيش من أبنائها ؟

خامسا :

اليك الآن مجمل ما قاله الأستاذ فى الوجه الخامس ، قال : « إن المفسرين ما زالوا قاصرين مقصرين فى معرفة معانى القرآن ، فانه لا تنقضى عجائبه ولا يدرك غوره . وقد يكون لواحد رأى فى آية ولغيره رأى آخر فيها ولكليهما وجه صحيح وحجة . فعلى أى معنى تختار اللجنة واحدا من هذه المعانى وباى قانون ترجحه على غيره ؟

« وإذا رجحنا رأيا وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأيا آخر أصح منه أفنغير الترجمة فيقول الناس إننا نغير فى قرءاننا ، أم نترك الخطأ على حاله ؟

« مثال ذلك : قال الله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ، فسر بعضهم الزوجين بالصنفين . ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى . فاذا ترجم القرآن بالمعنى الأول ، ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ؟

« وقال تعالى فى سورة يوسف : « لولا أن رأى برهان ربه » ، فسرها بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله . فاذا ترجم هذا المعنى ثم ظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنبقى الخطأ أم نغيره ؟

« وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت — الآية » ، فاذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى

البديع الذى يفهم من لفظ تثير ، لأن الاثارة هى التهييج الحسى والمعنوى . وهو مبدأ عملية التبخير وتكوين الأمطار . وفرق بين معنى فتسوق سحابا الى بلد ميت وبين معنى فتثير ما يؤول الى سحاب ، فسقناه الى بلد ميت . هذا المعنى لم يظهر إلا حديثا وهو إحدى معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » فسر ذى الأوتاد بكثرة الجنود . أو بأنها أوتاد أربعة كان فرعون يعذب بها الناس . فاذا ترجم هذا المعنى ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هى هذه الأهرامات لأنها تشبه الجبال وقد عبر الله عن الجبال بالأوتاد فقال : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » . وكنا معرضين القرآن لتكذيب المؤرخين لأنه لم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنودا حتى يوصف بهذا الوصف دونهم ، ولا أنه كان يعذب الناس بأوتاد .

«وقال تعالى : «والأرض بعد ذلك دحاها » فاذا ترجم دحاها بمعنى بسطها ، ضاع المعنى الذى يؤخذ من الدحو وهو التكوير .

« وكذلك إذا ترجم : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض . وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن .

« وقال تعالى : « حتى توارت بالحجاب » فسرت بتوارى الشمس خلف الحجاب ، وبأن سليمان عليه السلام عاقب الخيل التى شغلته عن الصلاة بتقطيع أيديها وأعناقها . فاذا ظهر لنا أن المعنى الصحيح هو أنه لما عرضت عليه الخيل أعجبته وكانت سببا فى شكر ربه . فلما اختفت عنه وراء الحجاب أمر بردها ليلاطفها ، ويمسح بيده على أعناقها وسوقها ، قلنا إذا ظهر لنا أن هذا المعنى هو الحق أفنغير الترجمة الأولى أو نعمل ترجمة غيرها فنكون قد قلدنا النصارى فى تعدد الأناجيل ؟ »

نقول :

نحن نعتقد أن القرآن كتاب لا تنقضى عجائبه ، ولا يدرك غوره ، كما

يعتقد الأستاذ ، ولكنا لا نذهب بالغلو فى هذا المعنى الى درجة التعطيل ، واعتباره طلسما تضل العقول فى فهمه ، ولا تصل منه الى حقيقة ثابتة ، فان هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه ، فقد وصفه فى غير آية بأنه آيات بينات ، وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات ، حتى قال : « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » ، قال المفسرون أى سهلناه للاتعاظ . وكرر هذه الآية أربع مرات فى سورة واحدة . فلا يجوز أن ندعى أن ما يسره الله للتذكر والاتعاظ معمى لا يمكن فكه ، وطلسم لا يستطاع حله .

نعم إن المفسرين بعد القرنين الأولين تذرعوا بالفنون الآلية التى وضعوها لضبط قواعد اللغة ، من نحو وبيان وبديع ومعان ، الى زيادة التعمق فى تمحيص المدلولات القرآنية تحت ضوء هذه العلوم ، فتعددت مدلولات بعض الآيات لهذا السبب ، وأكثر هذا التعدد آلى محض ، ولكن المعانى لم تخرج قط عن دائرة الفهم ، فلم يدع أحد أن القرآن لم يفهم فى عصر من العصور ، اللهم إلا الآيات المتشابهة ، وقد أمر المسلمون أن لا يحاولوا تأويلها لا فهم معناها ، خشية عليهم من شر الاختلاف فيها والذهاب فى أمرها كل مذهب .

وكيف يمكن أن يقال إن محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها وقد انبنى عليها الدين كله عقائده وعباداته ومعاملاته ؟

فاللجنة التى ستدعى لترجمة القرآن ستنظر فى المعانى التى قررها أئمة المفسرين للآيات ، فان آنسوا فى بعضها خلافا بينهم عمدوا الى اختيار مارضيه جمهورهم ، مشيرين فى الهامش الى بقية الاحتمالات . فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء . ولا يعقل أن معنى الآيات يخرج عنها بوجه من الوجوه . فلا محل والحالة هذه لقول الأستاذ : (وإذا رجحنا رأيا وترجمناه فهم ظهر لنا أن رأيا آخر أصح منه أفنغير الترجمة ؟) . نعم لا محل لهذا الاحتمال ، وإلا دب الشك إلى المسلمين فى عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، فان شبهة الأستاذ ترد على ما فهمه الأئمة المجتهدون منه أيضا . وهذا خطب جلل لم يجرؤ على مثله أحد فى الاسلام . وما دفع الأستاذ اليها إلا هواه فى معاكسة المشروع .

ولكن يظهر مما أورده الأستاذ من الآيات أنه لا يريد بما يقول معنى آيات العقائد والعبادات والمعاملات — وإن كان لم يستثن فيما قال — وإنما أراد الآيات الكونية والتاريخية والمتشابهات . وهذه أيضا لا تضرها الترجمة بوجه من الوجوه ، فان اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربى ولا تتعرض لشرحها ، فمثل قوله تعالى : «والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » ، مثل هذه الآية تتولاها لجنة التفسير فتعطى معناها الصحيح اللجنة الترجمة لتترجمه ، دون أن تتعرض لما تشير اليه الألفاظ من الدلالات العلمية ، ولكنها تجتهد فى ترجمة كلمة تثير مثلا بجميع خصائصها اللغوية ، تاركة دلالاتها العلمية لعقول القارئين ، تفاديا من الوقوع فى مثل الخطأ الكبير الذى وقع فيه الأستاذ صاحب الرسالة فى هذا الموطن نفسه ، كما سيجىء بيانه ، وحفظا للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرراته الحالية ، وهو دائم التغير كما هو مشاهد من الاطلاع على تاريخه .

فنحن نترك كليات القرءان على ما هى عليه من الاطلاق لتأخذ منها العقول ما يتاح لها فهمه تحت ضوء العلم فى جميع العصور . فاذا رجع العلم عن شىء من مقرراته الى مقررات أخرى فلا نكون قد أسأنا الى كلام الله بصرفه على معان معينة قابلة للتحول ، تبعا للمستكشفات الطارئة . وهنا يسوغ لنا أن نقول : إذا جرينا على مذهب الأستاذ من الشرح ورجع العلم عن رأيه الأول أنعيد إذ ذاك ترجمة القرءان أم نترك الترجمة على خطئها ؟ ولكن الترجمة على الأسلوب الذى نذكره لا تجعل محلا لمثل هذا الندم بعد التورط فى الخطأ .

نظرة فى الآيات التى أوردها الأستاذ :

أورد الأستاذ سبع آيات استشكالا على مشروع ترجمة معانى القرءان ، وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يخطئ فيها جميعا ، فكان خطؤه هذا دليلا

محسوسا على صحة ما نذهب اليه من ترك كليات القرءان مطلقة ، وعدم تقييدها بامور محدودة . ونحن نسردها واحدة واحدة دالين على وجوه الأخطاء فيها :

الآية الأولى :

أورد الأستاذ قوله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ثم قال : «فسر بعضهم الزوجين بالصنفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى ، فاذا ترجم القرءان بالمعنى الاول ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ؟ » .

نقول :

قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أى حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود الخ . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكورة والأنوثة هما من أعضاء الأزهار لا الثمار . فقد يكون هذان العضوان فى زهرة واحدة ، وقد يكونان فى زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان فى زهور شجرتين مستقلتين . أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثى على الاطلاق .

وقد كان هذا الازدواج النباتى معروفا من أقدم العهود . حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلقحون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها ، فرأى النبى صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلقحون نخلهم فقال لهم : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فشكوا اليه ، فأمرهم أن يعودوا لما كانوا عليه ، قائلا لهم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

والذى يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثى ، قوله تعالى عند ذكر الجنتين اللتين وعد بهما المتقون : «فيهما من كل فاكهة زوجان » أى من كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال الى المعنى الذى يريده الأستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات

الأخروية ، لا مقام استدلال على وجود القدرة الالهية ، بلفت الأنظار الى الحكمة التكوينية .

ولا يعقل أن الله تعالى يعزو ما هو خاص بالأزهار الى الثمار ، لأن ذلك فضلا عن مناقضته للبلاغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية .

الآية الثانية :

قال الأستاذ : « قال الله تعالى : « لولا أن رأى برهان ربه » فسرها بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله فاذا ترجم هذا المعنى وظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنبقى الخطأ أم نغيره ؟ »

نقول :

كيف يعقل أن يتضح فى يوم من الأيام أن المراد من « برهان ربه » هنا برهان سيد البيت الذى اشتراه ، وليس فى الآية ما يدع محلا لأقل احتمال من هذا القبيل ؟ قال الله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » فأى برهان يملك أمير وثنى ، يستطيع أن يدلى به لنبى ، فى مزدلق خطير من مزدلقات الطبيعة البشرية ، ليقيمه على عصمة لا يملكها لنفسه ؟

وإذا كان البرهان المذكور هو برهان سيد البيت لا برهان الله ، فكيف يسوغ أن ينسب الله أثره على يوسف لنفسه فيقول : « لنصرف عنه السوء والفحشاء » ؟

ومن الدلائل القاطعة على أن المراد من لفظ الرب الله جل شأنه ، أنه أضاف لفظ برهان الى نفسه فى غير آية من القرآن فقال : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » وقال : « فذانك برهانان من ربك » ولم يضف هذه الكلمة لغيره فى القرآن كله .

ومما يؤيد تفسيرنا هذا ما قاله الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم »

هذه محاولات لا تجدى نفعا ، ولا يقام لها وزن ، ولا تفيد فى عرقلة مشروع الترجمة وزن خردلة ، ولكنها تنم عن ضعف فاضح لأدلة المنع يسوء وقعه عند المدلين بها وعند أشياعهم .

الآية الثالثة :

قال الأستاذ القاضى : « وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت » فاذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى البديع الذى يفهم من لفظ تثير وهو عملية التبخير وتكوين الأمطار ، وهذا المعنى لم يظهر إلا حديثا وهو إحدى معجزات القرآن » .

نقول :

المعروف فى علم الطبيعة أن الذى يحدث التبخير فى المياه والرطوبات عاملان : الحرارة المركزية للأرض ، والحرارة الجوية للشمس . أما الرياح فلا تأثير لها فى التبخير ، ولم يقل بذلك أحد على سطح الأرض . فاذا فسرت عبارة تثير سحابا فى الآية الشريفة بعبارة تحدث تبخيرا فتؤلف سحابا ، كان هذا المعنى موجبا للسخرية عند جميع الذين قرءوا علمى الكيمياء والطبيعة والمتيورولوجيا (علم الظواهر الجوية) من أهل العصر الحاضر . وهل من شىء أسوأ وقعا فى النفس من نسبة المعلولات الى غير عللها ، وهل تتصور جريمة أكبر تبعة من نسبة هذه الجهالات الى الله نفسه ، بتأويل مالا يقبل التاويل من كلامه ؟

هذا وقد كان العلماء يعرفون أن الأبخرة الأرضية هى المؤلفة للسحب قبل مبعث عيسى عليه السلام بنحو خمسمائة عام ، وقد نصت عليها كتب الطبيعيات لطاليس وديموكريت وأرسطو وغيرهم . فليست هذه المسألة بثمرة من ثمرات المكتشفات الحديثة .

الآية الرابعة :

قال الأستاذ : « وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » . لو فسر بكثرة الجنود ، أو بأنها أوتاد كان فرعون يعذب بها الناس ، ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هى هذه الاهرامات ولم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنودا الخ » .

نقول :

إن العالم كله كان يعرف أن فى مصر أهرامات بناها الفراعنة الأولون منذ نحو خمسة آلاف عام ، فليس فى التنويه بها كبير شىء حتى يوصف بانه « شىء جليل يضيع علينا بجهل المفسرين له .

لننظر الآن هل فى إطلاق لفظ الأوتاد على الأهرام شىء من الجمال المعنوى الذى يصح نسبته الى الكلام الالهى ؟

نعم إنه سبحانه وتعالى قال : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » تشبيها لها بأوتاد الخيمة ، إذ تحدم فى منعها من الميدان ، كما تحدم أوتاد الخيمة فى ذلك . ولكن أى فارق بعيد بين أصغر تل فى الارض وبين أطول هرم من الأهرام ؟ إن ارتفاع الهرم الأكبر لايجاوز مائة وخمسة وأربعين مترا ، وطول قاعدته لا يزيد عن ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مترا ، فأين هو من جبل حملايا الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف وثمانمائة متر ويشغل شمال الهند كله ، أو جبال أنده فى أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعدتها نحو سبعة آلاف كيلو متر وارتفاعها بضعة آلاف من الأمتار ؟

لا جرم أن هذه الجبال يصدق عليها أن تسمى أوتادا للأرض ، أما الأهرام وهى لا تساوى فى طولها وعرضها أصغر تل فى الأرض ، فلا تصلح أن تسمى أوتادا لها ، والله يتنزه عن مثل هذه المبالغات الكلامية .

ثم إن هذه الاهرام جعلت قبورا للذين بنوها من الفراعين ، ولم يكن فرعون موسى من الذين شيدوها ، بل كان بينه وبين أحدثها نحو ثلاثة آلاف عام ، فلا تصح نسبتها اليه وهو لا يملك حتى ولا أن يدفن فيها .

أما التفسير الصحيح لهذه الآية والذى تشير اليه بقيتها فهو ما قاله المفسرون من أن « ذى الأوتاد » كناية عن كثرة جنوده . قال الله تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، فذكر الطغيان فى البلاد هنا وإكثار الفساد فيها يدل دلالة صريحة على أن المراد بذى الأوتاد الكناية عن كثرة الجنود .

يقول الأستاذ : « إن فرعون لم يكن أكثر الملوك جنودا » . نقول : بلى ثبت ذلك ، فان الفراعنة فى أيام دولتهم كانت لهم الزعامة الحربية فى الأرض ، وهذا مما لا يختلف فيه اثنان .

على أن الآية تدل على كثرة جنوده فحسب ، ولا تدل على أنه كان أكثر الملوك جنودا ، فلا وجه لاعتراض الأستاذ من هذه الناحية أيضا .

الآيتان الخامسة والسادسة :

قال الأستاذ : « وكذلك إذا ترجم : « والارض بعد ذلك دحاها » بمعنى بسطها ضاع المعنى الذى يؤخذ من الدحو وهو التكوير » .

قال : « وكذلك إذا ترجم ، « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن » .

نقول :

لم يرد فى اللغة قط أن الدحو بمعنى التكوير ، وإنما هو بمعنى البسط . وأما التكوير فهو اللف ، فيقال كور العمامة أى لفها . ويقال كور المتاع أى جمعه وشده ولفه على جهة الاستدارة ، وعبارة الأساس : وضع بعضه على بعض .

والذى قاله المفسرون : « والارض بعد ذلك دحاها » أى بسطها ومهدها للسكنى ، ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « أخرج منها ماءها ومرعاها » ، والمقام مقام تذكير بنعم الله على الانسان وتهيئته الأرض له ، لا مقام الدلالة على شكل الأرض .

وقال المفسرون فى تفسير : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس باللابس، أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة ، أو يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع أكوار العمامة (البيضاوى) .

هذا هو زبدة ما قاله المفسرون ، ويدل عليه قوله تعالى : « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » ، فايلاجه أحدهما فى الآخر هو إغشاؤه أحدهما الآخر . وقال تعالى : « يغشى الليل النهار » أى يغطيه به . ولا يؤخذ منه من طريق قريب أو بعيد أنه يشير الى كروية الأرض ، فاستفادة الكلام على هذا الوجه يخرجه عن حقيقته ، ويجعله قابلا لجميع الاحتمالات بدون أن يمت اليها بسبب . ولا ندرى نحن ما الموجب لهذا الجهد المضنى كله ؟ ألاثبات معجزة علمية للقرآن من ناحية كونه نبه الى كروية الأرض قبل أن يفطن الى ذلك أحد ؟

فليريحوا أنفسهم ، فان تاريخ المقررات العلمية قد أثبت أن سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم قد قالوا بكروية الأرض قبل ظهور المسيح باكثر من أربعمائة سنة ، بل نقل عن كبير الفلاسفة فيثاغورس الذى كان عائشا قبل المسيح بنحو خمسة قرون أنه لم يقل بكرويتها فحسب ، ولكن بدورانها أيضا حول الشمس . وخالفه فى ذلك الفلكى اليونانى الاسكندرى الكبير (بطليموس) ، الذى كان عائشا قبل المسيح بقرن ونصف قرن ، فانه مع تسليمه بكرويتها لم يسلم بدورانها حول الشمس . وبقى مذهبه شائعا حتى نبغ الفلكى البولونى المشهور كوبرنيك الذى كان عائشا فى القرن السادس عشر ، فقرر صحة مذهب فيثاغورس وأيده بالأدلة الرياضية .

الآية السابعة :

قال الأستاذ : «قال تعالى : «حتى توارت بالحجاب» ، إذا ترجم المعنى الذى يقوله المفسرون من أن الشمس غابت فى الحجاب ، وبان سليمان عليه السلام عاقب الخيل بتقطيع أيديها وأعناقها لأنها ألهته عن الصلاة ، ثم ظهر لنا المعنى الصحيح الذى لا يقبل العقل سواه ، وهو انه لما عرضت عليه الخيل أعجبته

وأحبها لانها كانت سببا فى شكره ربه ، فلما اختفت عنه أمر بردها اليه ليلاطفها بالمسح بيده على أعناقها وسوقها ، إذا حدث ذلك أفنغير الترجمة أم نعمل غيرها فنكون قد قلدنا النصارى فى تعدد الأناجيل ؟ » .

نقول :

إننا نأتى بنص الآيات أولا ثم نحاكم الأستاذ اليها . قال الله تعالى : «وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب ، إذ دخلوا على داود ففزع منهم ؟ (لأنهم ملائكة هبطوا عليه من السقف) ، قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط . إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (أى وتاب) فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

ثم قال تعالى : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (أى رجاع الى الله بالتوبة) ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ، (العشى قبيل المغرب) فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، (أى آثرت حب المال على ذكر ربى حتى احتجبت الشمس وفاتت الصلاة) ، ردوها على ، فطفق مسحا بالسوق والأعناق »

مجرد النظر فى توالى هذه الآيات ، يدل على أن الله يذكر صفات الانبياء فى سرعة الرجوع عما يبدر منهم من بعض الهنات ، والعصمة المطلقة لله ، فذكر أولا أن داود كان يريد أن يضيف امرأة أحد أتباعه الى نسائه التسع والتسعين ، فطلب الى زوجها أن يتنازل له عنها ، فأرسل الله اليه ملائكة يختصمون أمامه فى مسألة من جنس ماهو واقع فيه . فكان حكمه : « لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه » ، وعند نطقه بهذا الحكم أدرك أن الله قد فتنه بما طلبه من أحد رعاياه ، « فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » أى وتاب .

ثم ثنى هذه القصة بقصة ابنه سليمان بعد أن وصفه بانه أواب أى تواب . وتلخص قصته فى أنه عرضت عليه خيل جياد قبيل الغروب فأعجب بها حتى شغلته عن الصلاة فاستعادها اليه . وقد اختلف المفسرون فى مسح سوقها وأعناقها ، فقال بعضهم : أى أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . وقال بعضهم : بل أخذ يمسح هذه الأعضاء بيده ملاطفة لها .

فالذى يتبادر للذهن من أول نظرة أن تاويل الاستاذ القاضى غير صحيح ، فقد بدأ الله الكلام فيه بان سليمان كان أوابا أى توابا من ذنوبه . ثم أخذ يحكى ما حدث منه دليلا على أنه كان متصفا بهذه الفضيلة . فذكر أنه قد عرضت عليه جياد صافنات فاخذ يتأملها ، ثم لما تبين له أنها ألهته عن العبادة قال : « إني أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب » أى إني قد آثرت حب المال على الصلاة حتى غابت الشمس ، فأمر بردها اليه وأخذ يضربها بسيفه احتقارا لشأنها فى جنب الصلاة .

هذا التفسير لا يمكن بحال من الأحوال أن يعدل عنه ، لأن نص الآية يحول دون غيره . فليطمئن الأستاذ بالا فلن يتضح فى يوم من الأيام أن تاويله مما يمكن قبوله مهما تحمل له من الأسباب .

المعجزات العلمية للقرآن الكريم :

إننا مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ، ورغما عن أننا سبقنا جميع المتكلمين فى الاسلام فأثبتنا عددا عظيما منها فى عشرات من المقالات نشرناها ، إلا أننا لا نجوز لأنفسنا أن نعالجها علاجا عنيفا ، وأن نستقطر الكلام لها استقطارا ، فان ذلك يعد إخلالا بالأدب الواجب للكلام الالهى ، ويفضى الى كثرة الجدل فيه بين المثبتين والنافين ، وليس هذا من مصلحة الاسلام فى شئ .

وإن من الخطر العظيم أن يعالج الكلام فى الآيات على هذا النحو ، رجال لم يطلعوا على تاريخ المقررات العلمية ، فيحكموا بسبق القران الى تقرير حقائق اهتدى اليها العلماء والباحثون قبل نزول القرآن ، فيتذرع الخصوم بذلك الى الطعن فى كفاياتنا العلمية ، ويتهموننا بنقائص نجد أنفسنا عاجزين عن التبرؤ منها .

وقد رأى القراء أن كل ما قرره الأستاذ صاحب الرسالة من سبق القرآن الكريم اليه ثبت خلافه ، فضلا عما ذهب اليه من الآراء المناقضة للعلم الطبيعى نفسه فى تعليل بعض الظواهر . فهذا ليس بكبير فحسب ، ولكنه على جانب عظيم من الاضرار بالدعوة الاسلامية ، حتى فى البلاد العربية ، فان المتعلمين متى آنسوا أن الذين يقومون على صيانة العقائد لا بصر لهم بالمقررات العلمية الى هذا الحد ، تتداخلهم الشبهات فى كفاياتهم ، ويحملهم ذلك على التشكك وإساءة الظن بكل ما يجىء من ناحيتهم .

ولو ترجمت أمثال هذه الهنات الى لغة أجنبية كان أثرها بعيدا فى الابعاد عن الاسلام للسبب المتقدم عينه .

فالقرآن ثرى فى ناحية الاعجاز ثروة لا يمكن تقديرها ولا على وجه التقريب ، ولكن هذه الناحية لا تتجلى إلا لأهل البصر البعيد فى العلم والفلسفة ، وتاريخ تطورات العقلية الانسانية ، وإنهم ليشكون العجز ، ويعترفون بالتقصير ، ويودون لو أوتوا قوات معنوية فوق قواتهم ليدركوا بعض ما قدر للناس إدراكه من هذا النور السماوى الكريم .

سادسا :

نأتى الآن على الاستشكال السادس من الأربعة عشر استشكالا التى أوردها الأستاذ صاحب الرسالة ، فاليك فحواه : « إن أغلب (فضيلته يقول أغلب) آيات القرآن قد اختلف فى معناها وقد يذكرون للجملة الواحدة معانى عديدة ، فهل عمل اللجنة ترجمة جميع تلك المعانى أو واحد منها . فان كان الأول اتهم الأوربيون المسلمين بانهم مترددون فى فهم قرآنهم . وإن كان الثانى فربما كان ذلك المعنى غير مراد أو يثبت العلم فى المستقبل أنه غير صحيح » .

نقول :

إننا أبدينا رأينا فى مثل هذه الشبهة فى الوجه المتقدم ، وقلنا إن تلك الخلافات فى المعانى حدثت بسبب ما طبق عليها من العلوم الآلية التى وضعت فى القرن الثانى ولكنها لم تخرج الكلام عن دائرة الفهم ، فنحيل القارئ اليه .

سابعا :

قال الاستاذ ما مؤداه : « إن النظم المعجز للقرآن جزء من ماهية القرآن فهل فى إمكان اللجنة أن تترجم معنى القرآن بما فيه هذا الجزء ، أو يتركونه فتجيء الترجمة خالية منه وهو بمثابة الروح للقرآن ، والجسد بدون الروح لا فائدة فيه » .

نقول :

أما ترجمة القرآن الى لغة أجنبية بنظم معجز فهذا ما لا سبيل اليه ، وإنما المراد ترجمة معانيه فقط ، وقد أجاز الحنفية ذلك ولم يجعلوا النظم المعجز ركنا ، ولذلك قالوا تصح الصلاة به مترجما .

أما قول الأستاذ : إن النظم المعجز هو روح القرآن ولا يقوم جسد بلا روح ، فهو عكس الواقع ، فان روح كل كلام هو معناه ، وأما نظمه فهو الجسد . فترجمة القرآن الكريم تنشر روحه بين العالمين ، وهذا أمر لا يستهان به فى هدايتهم الى الحق اليقين .

وهل بناء على قاعدة الاستاذ يجب علينا أن نمتنع عن ترجمة كتب العلوم ، إذا كنا لا نستطيع أن نأتى فى ترجمتها على عبارات تساوى براعة مؤلفيها فى البلاغة ، فلا نستفيد من معانيها لهذا السبب ؟ وهل فى هذا الموطن يمكن أن يقال إن بلاغة الكتاب هى روحه ولا فائدة فى جسد بلا روح ؟

هذا ما لا يقول به أحد فى الارض .

ثامنا :

قال الاستاذ ما زبدته : « إن جمهور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن . وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة بلفظة ، لأن ذلك محال ، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه . فاضافة المقترح كلمة (معنى) ما هى إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج مما أجمع على عدم جوازه المسلمون »

نقول :

ليس بصحيح ما يقوله الأستاذ من أن المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن ، وهو نفسه قد أورد مذهب الحنفية فى رسالته ورد عليهم ، ونقل ردودا عليهم عن علماء آخرين ، فهل يصح مع جواز الترجمة فى مذهب هو أكثر مذاهب المسلمين أتباعا أن يقال أجمع المسلمون على عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ؟

فاذا كان فى الأرض أربعمائة مليون مسلم فان منهم نحو مائتين وخمسين مليونا يتبعون مذهب أبى حنيفة ، والباقون يتبعون سائر المذاهب ، فأين الاجماع والأمر كما ترى ؟

وتقولون إن من المحال ترجمة القران لفظا بلفظ ، فكيف تقولون ذلك وقد شرط الحنفية ذلك لصحة الصلاة بالترجمة ، وهم حين شرطوا ذلك عرفوا أن ذلك ليس بمحال ، لان الامام كان فارسيا وفى أتباعه فرس كثيرون كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو فى الفاتحة وبعض الآيات الضرورية للصلاة . وكل عارف بلغة أجنبية يعرف أن الفاتحة وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة .

وإذا كان الامام الأعظم وأصحابه يرون ذلك محالا فلم جوزوا الصلاة بالقران مترجما ؟ أفعلوه تعجيزا للناس ؟ أم أكرهوا على القول به فعلقوه على محال ؟

ومن أين علم أن المقترح أضاف كلمة (معنى) الى الترجمة ليتفادى ما أجمع المسلمون على عدم جوازه ؟

المقترح فى حل من أن يترجم القران على الوجه الذى يمكنه من تصوير المراد منه ، لأن ذلك جائز فى أوسع مذهب من مذاهب المسلمين ، واستحسنه علماء كبار من مذاهب أخرى كما رأيت ، فليس هو بحاجة لأن يأتى بألفاظ يستر بها مراده . وهل مراده إلا خدمة العالم بما فى كتاب الله من النور الساطع ، والاصلاح العميم ؟

تاسعا :

قال الأستاذ ما صفوته : «أخطأ بعض المفسرين فى تفسير بعض قصص الأنبياء فهل اللجنة تترجم هذا الخطأ أو تحذف تلك القصص ؟ فأولى من ترجمة القرآن أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفى مالا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فصاحب الدار أحق بخبرها من الغريب » .

نقول : إذا كان بعض المفسرين قد أخطأ فى تفسير بعض القصص فبعضهم أصاب لا محالة . فاننا لا نستطيع أن نتصور أن المسلمين فى مدى نحو أربعة عشر قرنا كانوا مجمعين من هذه القصص على خطأ مبين ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تجتمع أمتى على ضلالة .

يريد الأستاذ أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفى مالا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فلعله يريد أن تسلك فيها ما سلكه هو فى قصة يوسف وسليمان ، وهذا ما لا يرضاه مسلم له بصر فى شئون هذا العصر ، فان فى العالم الغربى رجالا يعرفون اللغة العربية مثل ما يعرفها الأعلام منا ، فاذا لم نسلك فى فهم كتابنا الأصول المقررة للفهم ، وملنا يمنة أو يسرة غلوا منا فى تنزيه بعض الشخصيات التاريخية ، اعتبرنا أولئك الرجال محرفين لكتابنا ، وهذه تهمة لم يوصم بها المسلمون الى اليوم .

وكيف يسوغ لنا أن نفهم أن أعلام هذه الأمة الأولين يجمعون على خطا فى فهم معانى الآيات الواردة فى تاريخ بعض الأنبياء والمرسلين ، وقد كانوا أعلم منا باصول اللغة ، وأكثر منا حيطة لدينهم ، وكرامة كتابهم ؟

إن من أصول الاسلام الاعتراف بعصمة الأنبياء عن الكبائر ، أما الصغائر فجائزة عليهم ، ولا تكاد تقع منهم حتى يسرعوا الى الاستغفار منها ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تشهد بما نقول .

أفيجمل منا لتنزيه يوسف من خاطر الشهوة البشرية الذى خطر له فعصمه الله من الجرى وراءه ، أن نعالج الآيات التى ذكرت قصته علاجا مستكرها

فنسقطها من أوج البلاغة التى هى فيها ونحملها مالا تحتمله من الاحتمالات البعيدة ؟

انظر الى ما ارتكبه الاستاذ فى قصة سليمان إذ صرف قوله : «حتى توارت بالحجاب» الى الخيل لا الى الشمس ، وصرف المسح بالسيف كراهية لها واحتقارا الى المسح باليد حبا وإعجابا .

فاذا كان يريد بما طلبه الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر أن يؤلف لجنة لاحداث مثل هذا التحريف ، فانى واثق بأن طلبه لن يجاب أبدا ، وواثق أيضا بان العقل العصرى لا يسيغ هذا الضرب من الغلو فى تنزيه الأنبياء فيستسهل صرف المعانى العالية للكتاب فى هذه السبيل المحفوفة بالأخطار .

عاشرا :

قال الأستاذ فى الوجه العاشر : « إن الله علم أية لفظة تصلح لأن تلى الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ، وأية لفظة تكون لها عدة معان تتفق وحالة الناس من العلوم فى جميع العصور ، بحيث يفهم كل جيل المعنى المناسب له ، وبحيث لا تكون المكتشفات الصحيحة معارضة لما يفهم من ألفاظ القرآن بل تتمشى معه . والبشر لا يحيطون بشىء من ذلك علما إلا على قدر معارفهم الناقصة ، كما لا يستطيعون ترجمة ما استبان لهم إلا بقدر مؤهلاتهم القاصرة . فاذا أقدموا على ترجمة ما فهموه من المعانى فقد يظهر فى المستقبل خطؤه فيضاف هذا الخطأ الى القرآن » .

نقول :

إن الأستاذ القاضى يخلط بين الترجمة والشرح فى كل ما يكتب ، وهذا خطأ كبير . فان ترجمة معانى الآيات لا دخل لها فى شرح مدلولاتها التى قد تترقى بترقى العلوم . ونحن نوضح هذا الموضوع بمثل فنقول : قال الله تعالى : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . فهذه الآية يترجم معناها على ماتعطيه ألفاظها من المعانى ، بصرف

النظر عن مدلولها العلمى ، فذلك يترك لعلم الناس فى عهدهم الحاضر وعهدهم المستقبل . وإلا فلو أردنا أن نتعرض لشرحها فان ذلك يستدعى مناسفرا ضخما ، فانها دلت على أن لله فى خلقه سننا مقررة لا تتخلف ، وهو من المعجزات الخطيرة التى قررها القرءان قبل أن يقولها أحد ، وابتنى عليها علم العمران ، وسيترقى العالم فى فهمها كلما ترقى العلم ، ولا تضرها ترجمتنا لمعناها بحال من الأحوال .

مثال آخر : قال الله تعالى : « إنا كل شىء خلقناه بقدر » فاننا نترجم هذه الآية على ما تعطيه معانى ألفاظها بدون تعرض لشرحها ، فان شرحها يستوعب أخص ما فى علم الكون من نظريات ، ولا تقف ترجمتها دون التوسع فى فهم مدلولها على حسب ترقى العلوم .

هذه أمور بدهية لا تحتاج لاطالة ، إلا إذا أريد عرقلة مشروع الترجمة بالمحاولات الكلامية .

الحادى عشر :

قال الأستاذ فى الوجه الحادى عشر ما مصاصته : إن المطالبين بالترجمة لا يريدون إلا الترجمة التى أجمع المسلمون على عدم جوازها ، وإنما أضافوا كلمة معنى للتفادى من ذلك .

نقول :

هنا يذكر الأستاذ أيضا أن هنالك ترجمة أجمع المسلمون على عدم جوازها وهى ترجمة اللفظ بلفظ يقابله . ولا ندرى كيف يسوغ له هذا القول وهو يعلم أن الحنفية يشترطون أن تكون الترجمة التى تصح بها الصلاة هى هذه الترجمة اللفظية لا الترجمة التفسيرية ؟ أما ترجمة المعانى التى يقصد منها تفهيم الأجانب معانى القرآن فلا يحرمها الأحناف ولا علماء كثيرون من مذاهب أخرى حتى الحنابلة كما ستراه .

ومن أين علم أن إضافة كلمة معنى الى الترجمة يقصد به التمويه دون الحقيقة ؟ إن مشيخة الأزهر أتت بهذه الكلمة لتتحلل من مصاعب الترجمة الحرفية

للتستطيع تصوير المعانى الحقيقية للآيات غير مقيدة بتقابل الالفاظ ، فربما كان هذا التقيد غير مؤد للمراد ، وهى إنما تريد تفهيم معانى الكتاب الكريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقيمون بها الصلاة على شرط الاحناف ، ولم تعلنهم بذلك ، ولو استفتيت فيه لمنعته بتاتا جريا على مذهب الامام .

فلم يسىء الاستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين الى هذا الحد ؟

الثانى عشر :

قال الأستاذ ما إجماله : « قال تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » . فهل هؤلاء يريدون ترجمة المحكمات دون المتشابهات ، أم ترجمة كليهما معا ، أم ترجمة المحكمات ترجمة معنوية ، والمتشابهات ترجمة لفظية ؟ فان كان الأول فلا يسوغ لهم تسميته ترجمة معانى القرآن بل معانى بعض القرآن . وإن كان الثانى فانه يقتضى تأويل المتشابهات حتى يمكن ترجمتها . وإن كان الثالث فلا تكون الترجمة معنوية خالصة ولا لفظية خالصة ، بل تكون خليطا » .

نقول :

ليس مراد الله من وصفه بعض الآيات بانها متشابهة أنها لا معنى لها فى ذاتها على الاطلاق ، ولكن لأن العقول تضل فى تأويلها ، وتقصر عن تصور حقائقها . ولنضرب لذلك مثلا بالآية التى نزلت المتشابهات بسببها : قال الله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم . الآية » روى أن النصارى لما قرءوا هذه الآية قالوا : أليس القرءان يقول إن عيسى (روح الله)؟ يكفينا هذا اعترافا منه بنبوته ، ومضوا بشبهتهم هذه يشيعونها فى الناس على غير هدى ، فنزلت آية المتشابهات تنهى عن تأويل بعض الآيات وصرفها الى ما تشتهيه الوساوس الاعتقادية ، وما يعلم تاويلها إلا الله وحده .

فقوله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه . الآية » له معنى ظاهر يستقل بالفهم ويمكن ترجمته الى كل لغة ، ولكن تأويله ليس من غرض اللجنة ، فهى لا تعرفه ولا يعرفه أحد فى الأرض ، فلا تبحث فيه ولا تترجمه .

مثال آخر : قال الله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » . هنا تنازع أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآية الأولى محكمة والأخرى متشابهة . وقال أهل السنة : بل الأولى هى المتشابهة والثانية هى المحكمة .

فكلتا الآيتين كما لا يخفى لها معنى يستقل بالفهم ، يستطيع مترجو القرآن أن يضعوه فى لغات أجنبية ، أما تأويل ذلك المعنى فلا يعنيهما فى شىء .

إذا تقرر هذا فلا محل لكل ما رتبه الأستاذ القاضى على كل ما قدمه من المقدمات .

الثالث عشر :

فى هذا الوجه يتحدى الأستاذ المترجمين جميعا ليجربوا أنفسهم فى ترجمة معانى آيات اقتبسها من القرآن الكريم ، بحيث يكون للترجمة ما للأصل من روعة تأخذ بالنفوس ، وحكمة تستولى على الوجدان ، ومن أحكام تنطبق على قواعد الدين ولا تأباها العقول الأجنبية الخ الخ .

وهذه هى الآيات :

(١) « ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا . أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » الآية .

(٢) « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

(٣) « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » الآية .

(٤) « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » الآية .

(٥) قصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى : « ولقد همت به ، الى قوله : واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين » ، مع بيان مافيها من قواعد عمرانية ونظامية وقضائية وأخلاقية ومع مراعاة عصمة الأنبياء » .

نقول :

إن مشروع الترجمة يتصدى لبيان معانى القرآن الكريم ، ولم يدع قط أنه سيضيف الى المعنى الاتيان بنظم معجز فى اللغات التى ينقله اليها كالنظم الذى للقرآن المنزل . ولم يأخذ على نفسه أن يشرح ما فى الآيات من أحكام وشرائع ، ولا ما يستنبط منها من نظم وقوانين ، فهمته محدودة ولا يسمح له بتعديها بوجه من الوجوه .

فلا محل والحالة هذه لتحدى الأستاذ المترجمين بما أتى به من الآيات .

الرابع عشر :

قال الأستاذ ما خلاصته فى الوجه الرابع عشر وهو الأخير : « كتب المجوزون للترجمة مقالات تأييدا لمذهبهم لم تسلم واحدة منها من خطأ ، وأسندت وقائع الى الرسول لم تثبت . وهذا بعض ما نخافه فى التراجم وبخاصة إذا كان المترجمون أقل عقلا وبحثا وتمسكا بالدين » .

نقول :

لعل الأستاذ قد بلغه أنه ستؤلف لجنة من خيرة العلماء لتعيين معانى الآيات بكل دقة وتمحيص ، وتوكل تلك المعانى المحررة للمترجمين ليترجموها ، ثم يوكل الى لجنة ثانية نقد الترجمة والتحقق من مطابقتها للنصوص المحررة ، فلا موجب للتخوف من الخلط والخبط بعد هذا على الترجمة . ولا أظن أن كتابا أحيطت ترجمته بمثل هذه الضمانات من قبل .

الحجج التى يتذرع بها دعاة الترجمة والرد عليها

قال الأستاذ صاحب الرسالة : « تنحصر حجج مجوزى الترجمة فى ثلثين :

(الأولى) أن الترجمات الموجودة للقرآن غيرت معانيه ، فاذا تولت ترجمته مشيخة الأزهر جاءت تلك الترجمة صحيحة .

(الثانية) أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الدين الحنيف لعلهم يهتدون» ثم تولى الاستاذ دحض الحجتين فقال عن الأولى ما زبدته :

« لو كانت لنا قوة لمنعنا تلك التراجم بها . أما الكتب وحدها فلا تقهر كتبا ، فبلادنا مملوءة بالروايات الساقطة الداعية للاباحة والالحاد ، ويوجد بازائها كتب تدحضها وتدعو للآداب والصلاح ، فهل أخمدت الثانية أنفاس الأولى أو قللت منها ؟ إنه لابد لارشاد الناس من استصحاب القوة ، وما دام ليس لدينا قوة فلا ترتجى من ترجمة القرآن فائدة ، بل ربما كان ذلك سببا لأن ينشط المبشرون لوضع آلاف من التراجم الفاسدة ونشرها مكايدة لنا . وإن هؤلاء المبشرين يقرءون القرآن العربى المبين كما نقرؤه ويفهمونه كما نفهمه ، فهل منعهم فهمه من الدعوة الى دينهم ؟ وهل يتحاشون أن يقولوا إن ترجمة اللجنة مصححة للقرآن ، ولكن تراجمنا هى الحقيقية ؟ وما تأثير ترجمة واحدة والأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ؟ »

نقول لرد هذه الشبهات :

إننا نأسف من أن نرى رجلا فى مثل درجة الأستاذ من العلم يطوح به الهوى الى مثل هذه الآراء الفائلة ، والخيالات البعيدة . فمتى عهد الناس أن أمة تستخدم القوة لمحو تراجم خاطئة صدرت لكتابها فى أمة أخرى ؟

ومتى رأى الناس أن لا فائدة لعمل ترجمة صحيحة بازاء تراجم خاطئة فتركوا الخطأ على ما هو عليه ليعتبر سكوتهم عنه رضاء به ؟

وكيف يروج فى عقل إنسان أن ترجمتنا لمعانى القرآن تهيج المبشرين الى وضع (آلاف) من التراجم الضالة ؟

وعلى أية حال يعقل إنسان أنه مادام المبشرون بين ظهرانينا يقرءون القرآن ويفهمونه ، ويستمرون فى دعايتهم ، فلا حاجة بنا لعرض ديننا على العالم ؟

وكيف يمكن أن يتصور إنسان أن ترجمتنا لا تنفع مادامت الأسواق غاصة بالتراجم الخاطئة ، ويكون الأولى بنا أن ندع لتلك التراجم الخاطئة المجال حرا ولا نقابلها بأية معارضة ؟

ألا إن ما يقوله الأستاذ لا يقره عقل ، ولا يسنده عرف ، وقد جرى العالم قديما وحديثا على خلافه ، حتى إن أقوى الأمم التى لا تبالى لو سخط عليها الناس أجمع لتبادر الى تكذيب فرية تافهة تروى عن سياستها أو أعمالها ، تصحيحا لرأى الناس فيها ، واستدامة لثقتهم بها .

أما نحن فان الأستاذ ينصحنا على ضعفنا أن ندع كتبنا غرضا لكل محرف متعمد وغير متعمد ، وعرضة لكل تشويه خفى أو ظاهر ، حتى نحصل على قوة فنمحو ما كتبوا بأطراف القنا المقومة ، وظبى السيوف المذربة .

بخ بخ ! ثم بخ بخ !

يقول الأستاذ إن الكتب لا تقهر كتبا ، ويضرب مثلا بكتب الأقاصيص والالحاد والكتب المؤلفة ضدها .

فهل يريد الأستاذ أن يقول : إنه ما دامت ليست لدينا القوة الرادعة فيحسن بنا أن لا نعارض الكتب الداعية للهوى والالحاد ، بكتب تدعو للهدى والرشاد ؟ إن كان يقصد ذلك فهو مناقض لقوله تعالى : « فذكر إن نفعت الذكرى . سيذكر من يخشى . ويتجنبها الأشقى » ، وقوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر » ، وقوله تعالى : « فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، وقوله تعالى : « كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره » وقوله تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » .

الحجة الثانية ورد الاستاذ عليها :

قال الأستاذ : « الحجة الثانية لدعاة الترجمة هى أنهم يريدون إفهام الأجانب حقيقة الاسلام لعلهم يهتدون . فهل عرفنا نحن حقيقته فاهتدينا بهديه ولم يبق إلا أن نهدى غيرنا اليه ؟ أليست عامة المسلمين أولى بافهامهم حقيقة الدين من الأجنبى ؟ ثم قال :

« على أن تفهيم الأجانب حقيقة ديننا لا يستلزمان ترجمة معاني القرآن ، ولكن هدايتهم تكون بأمرين : الأول بوضع كتاب يبين فيه ما يدعو اليه والأصول العامة للفقه والمعاملة والأخلاق الخ الخ . والثانى بظهورنا أمامهم بلباس الدين متمسكين بما يدعو اليه . فاذا وصلنا الى هذه الدرجة سعوا الينا وتعلموا لغتنا ، كما كان يحصل أيام الفتوحات الاسلامية ، وكما يحصل منا إذا أردنا تعلم علم اختصوا هم به ، فاننا نسعى الى معرفة لغة أهل هذا العلم » .

نقول :

إن هذا الكلام من الأستاذ يفهم منه أن الاسلام أنزل خاصا بنا ، فتى استوفينا حاجتنا منه وتحلينا بجميع فضائله ، حسن بنا إذ ذاك أن نفكر فى الأجانب عنا . وفاته أن هذا الدين أنزل للبشر كافة ، وأن على السابقين اليه إذاعته بينهم عامة ، فليست حاجتنا نحن بأولى بالتقديم من حاجة غيرنا اليه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب مبلغ أوعى من سامع ، كما ورد فى الحديث .

فنحن فى الدعوة الى الاسلام لا نأتى بنافلة ، لنا الخيار فى تعجيلها أو تأجيلها ، ولكن بواجب من الواجبات المفروضة علينا سواء أعملنا بالدين أم لم نعمل ، قال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » .

فليس أمام الاسلام عربي ولا أجنبي . فان قلت : إذا كان الأمر كما تقول فلم لم ينزله الله بكل لغة فى الأرض ؟

نقول : إذا استساغ المعترض هذا الاعتراض فلم لايستسيغ أن يقول : إذا كان الله يطالب كل فرد بالاسلام فلم لم يوح ذلك الى كل مكلف على حدته ؟

إن كلا الاعتراضين فى نظرنا متساويان ، وهما معا باطلان ، فكما اقتضت حكمته تعالى أن يرسل رسولا واحدا الى الملايين من عباده يصطفيه منهم ، كذلك اقتضت حكمته أن يرسل أمة واحدة لتبليغ الأمم كافة يصطفيها منها . وكما أوجب على الرسول أن يبذل وسعه فى إبلاغ ما ائتمن عليه من الرسالة

بكل وسيلة ، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وينتزل الى درجة فهومهم ، ويقارعهم بما يحذقونه من أساليبهم ، كذلك أوجب على الأمة التى تختار لنشر دعوته أن لا تدخر وسيلة فى إبلاغها للأمم ، فتختار من الذرائع ما تلهمها الأحوال بأنه أولى بالتعويل عليه من غيره .

وقد فهم المسلمون هذا الأمر منذ وجودهم ، فعملوا عليه جهد طاقتهم ، ولم تفتهم مسألة ترجمة القرآن لهذا الغرض نفسه . وهو ما رواه ابن حجر عن ابن بطال فى فتح البارى من أن على العرب أن يترجموا القرآن للأمم التى لا تفهم العربية تحقيقا لمبدأ تعميم الدعوة به ، كما أثبتناه بلفظه فى فصل متقدم .

فلا معنى والحال هى هذه لقول الأستاذ صاحب الرسالة التى ننقدها إن الأولى بنا أن نهدى أنفسنا أولا ثم ننظر فى أمر غيرنا ، فان ما أوجبه الدين كل لايتجزأ ، ونحن مطالبون به كاملا ، ومحاسبون على التقصير فيه أصلا أصلا .

أنستبعد أن تكون ترجمتنا للقرآن سببا فى هداية أمة اليه يعز الله بها الاسلام فى هذا العهد الذى ضعف أهله عن الاضطلاع بأعبائه ، وقصروا عن القيام بمهامه ؟

أما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين ، فهل يحرم علينا أن يقول : اللهم أعز الاسلام بأمة من الأمم ؟

وبعد

عقد الأستاذ القاضى فصلا فى رسالته تحت هذا العنوان قال فيه ما خلاصته : « كانت الفتوحات فى أيام الفاروق واسعة وكان الصحابة أحرص منا على نشر الدين ، ومع هذا فلم يفكروا فى ترجمة القرآن الكريم .

« وقد زادت الفتوحات اتساعا فى عصر هرون الرشيد والمأمون ، ودخلت فى الاسلام طوائف كثيرة لسانها غير عربى ، وكثر المترجمون الى اللغات ، ومع هذا فلم يجد أحد حاجة الى ترجمة معانى القرآن الكريم .

« لم يعسوا لغة القرآن لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة

الأمة العربية ونماءها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وهذه قاعدة أجمع عليها علماء الاجتماع من شرقيين وغربيين . فان كل أمة تسعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلمها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها .

« وكما تدعو السياسة الى المحافظة على اللغة يدعو الى ذلك الدين نفسه، لأن القرآن لا يمكن فهمه حق الفهم ولا معرفة قدره حق المعرفة إلا باللغة العربية .

« وما روى عن الامام أبى حنيفة من أنه أجاز القراءة بالفارسية ثبت رجوعه عنه (الأستاذ يقول ثبت) . فالاقدام على ترجمة القرآن بدعة فى الدين سيئة ، وقد يؤدى ذلك الى انصراف بعض متعلمى اللغات منا عن القرآن وتفاسيره الى تراجمه ، ويتبع ذلك انحطاط اللغة العربية » انتهى .

ونحن لرد هذه الشبهات نقول :

لم لم يترجم الصحابة القرآن ؟

لم يفكر الصحابة فى ترجمة القرآن استكمالا لوسائل الدعوة لسببين : (أولهما) تعذر ذلك عليهم لعدم وجود من يستطيع ذلك منهم ، ناهيك أنهم لم يجدوا من يتولى أمور الدواوين منهم باللغة العربية فابقوها بلغات أهلها حتى وجد منهم على عهد عبد الملك ، أى فى أواخر القرن الأول للاسلام ، من يستطيع الاضطلاع بها ، فقلب لغتها الى العربية ، وكان هذا الأمر لا يستدعى أكثر من القراءة والكتابة . أما الترجمة فتستدعى حذق بعض اللغات الأجنبية ، وكيف السبيل الى ذلك وهو يقتضى ثقافة خاصة لم تكن وجدت فى ذلك العهد ، ولا الى ما بعده بنحو مائتين وخمسين سنة ؟ فكيف يعقل أن يفكر الصحابة فى ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية ، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ؟

هذا هو المانع الأول . وأما المانع الثانى فهو أن الترجمة كانت لا تجدى أولئك الأقوام المعاصرين للصحابة ، لأنهم كانوا تحت سلطان ساداتهم فى إيمانهم وكفرهم . وقد قام الصحابة باقناع أولئك السادة بفساد أديانهم

وصلاحية الاسلام ، فدخلوا فيه وتبعهم مقلدوهم مسرعين ، وبقوا مسلمين الى هذا اليوم ، ولا يعرف القرآن منهم إلا نفر يعدون على الأصابع ، وأما من عداهم فيعرف بعضهم قراءة الفاتحة بلهجة لا تفهم ، وبقى سوادهم لا يعرفون ولا فاتحة الكتاب ، ولا يصلون ولا يصومون .

ومن شاء أن يتحقق من هذا كله فليسال الطلبة الأجانب الذين فى الأزهر ليسمع ما يسوءه من هذه الناحية .

وهاتان الهند والصين اللتان أسلم ملايين من أهلهما منذ القرن الاول ، لا يزالون الى اليوم ، وقد بلغوا الآن هم والأندونسيون وغيرهم أكثر من ثلاثمائة مليون نسمة ، على ما كان عليه آباؤهم الأولون من الجهل بالعربية جهلا تاما ، وقد حذق كثير منهم الانجليزية بحافز من الحاجات المعيشية ، ولم يحدثوا أنفسهم بتعلم العربية ، فاضطروا الى ترجمة القرآن ، فترجمه رجال منهم الى الصينية والهندية والانجليزية والاندنوسية ، وقد طلب الاندنوسيون أخيرا الى علماء الهند السنيين أن يترجموه لهم الى الانجليزية ، فشرعوا فى ذلك وأتموا منه ثمانية عشر جزءا كما ورد فى جريدة البلاغ وأثبتناه فى فصل متقدم .

فلو كان كتب لهذه المئات من الملايين أن تتعلم العربية ، لتعلمتها والدولة العربية فى أبهة سلطانها ، واللغة فى نضارة شبابها . أما اليوم وقد سممت الشبهات العلمية العقول ، وأصبحت الزعامة العالمية فى أيدى الشعوب الأوربية ، فان مجرد التأميل فى تعلم المسلمين الأجانب للغة العربية يعتبر من قبيل الاشتغال بالخيالات البعيدة .

من أراد أن يعرف مكان هذا الأمل من التعذر فليعتبر بالأمة التركية ، فقد حملت أعباء الخلافة نحو أربعة قرون ، وأدمجت فى لغتها أرق الألفاظ العربية ، حتى أنها فيها لتبلغ الربع من جملتها ، وعرف الأتراك بشدة التمسك بالدين ، ومع ذلك بقيت الأمة التركية تجهل العربية الى اليوم . ولا يكاد يفهمها منهم إلا مئات من رجال الدين على قصور تام فيها .

فما ظنك بها وقد جردت لغتها من جميع الالفاظ العربية اليوم ؟

لم لم يترجم العباسيون القرآن
وقد كانت دولة الترجمة قائمة فى زمانهم ؟

هذه تعتبر شبهة عند الذين يأخذون الأقوال بظواهرها ، ولكنها عند أهل العلم من الوهن بحيث لا تحتمل النقد .

نعم قد كان للترجمة دولة قائمة على عهد المنصور وأبنائه ، وبخاصة حفيديه هرون والمأمون ، ولكن القائمين بأعبائها كانوا كلهم من النصارى واليهود والصابئة ، استخدمهم الخلفاء لنقل العلوم الطبيعية والرياضية والطبية وغيرها من اليونانية والسريانية والهندية والفارسية الى اللغة العربية ، أشهرهم حنين ابن اسحق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا ، وثيادورس ، وأبو روح الصابى ، وأبو بشر متى ، وجبيش ، واصطفان بن الصلت ، ولم يكن بينهم مسلم واحد قط . فهل كان يريد الأستاذ مؤلف الرسالة أن يسند الى واحد من هؤلاء ترجمة القرآن الى بعض اللغات الأجنبية !

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، كانت الشعوب الأوربية فى إبان المدنية العباسية فى العهد الذى يسمونه بعهد القرون الوسطى ، وهو المحصور بين القرن الرابع والقرن الخامس عشر ، وكانت أوربا فيه ، وهو يزيد عن ألف سنة ، فى ظلام حالك من الجهل ، وتحت السلطان المباشر لرجال الكنيسة ، فكانوا لا يسمحون بتسرب كتاب فيه بصيص من العلم الى أيدى الناس خشية أن تنتج من ورائه بدعة دينية ، بله كتابا دينيا يدعوهم لتغيير ملتهم . وقد بالغوا فى هذا الاحتياط حتى أقاموا محاكم خاصة لصيانة العقائد سموها محاكم التفتيش . فكانوا إذا سمعوا عن رجل أنه يشتغل بالفلسفة أو بالعلم الكونى ، اقتحموا عليه داره وفتشوها تفتيشا دقيقا ، فاذا عثروا فيها على كتاب غير الكتب التى وضعوها

حاكموه وحكموا عليه بأقسى العقوبات . حتى إنه لما تسربت بعض علوم عرب الأندلس الى ما جاورها من الممالك الأوربية وأخذ بعض الناس يتدارسونها ، حكم على أكثرهم بالحرق فى النار ، وقد بلغ عدد هؤلاء الضحايا نحو ثلاثمائة ألف وستين ألفا ، ألقوا جميعا فى النيران المستعرة ، ومنهم رجال عباقرة كبار من أمثال غاليليه وبرونو وغيرهما .

ولما نشأت الدولة العثمانية فى آسيا الصغرى ، وألقت ببصرها الى الشاطئ الأوربى فى القرن الرابع عشر الميلادى ، أصدر البابا القائم منشورا قال فيه : إن المسلمين رجس فلا يجوز أن تطأ قدم واحد منهم أرض أوربا .

كان هذا فى القرن الثالث عشر ، فما ظنك بالعصبية الدينية فى أوربا أيام قيام الدولة العباسية فى القرنين الثامن والتاسع للميلاد ؟ هل كان من الحكمة أن يترجم القرآن ويرسل الى البلاد الأوربية ليصادر يوم وصوله ويباد من عملوا على استيراده ؟

هذا إذا كان فى المسلمين من يستطيع ترجمة القرآن الى تلك اللغات إذ ذاك وتعلمها كان من أصعب المحاولات .

أين هذا مما هو عليه الحال اليوم من حذق مئات الألوف من المسلمين لتلك اللغات ، واستعداد الأوربيين ، بما حصلوه من الحرية وحب الحق ، لقراءة كل ما يقدم اليهم ، بل هم قد أصبحوا يطلبون الينا أن نقدم بما لدينا ليبحثوه ، ويبدوا رأيهم فيه ، ويستقدمون اليهم رجالا منا ليباحثوهم الآراء فيما هم بصدده من وسائل نزع السخائم من القلوب ، وشد روابط الألفة بين مختلف الشعوب ؟ أما بلغكم أن مؤتمر الأديان بلوندرة طلب الى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر أن يمثل فيه ويلقى خطبة فى أحسن الوسائل فى نظره لتحقيق مبدأ الزمالة العالمية بين البشر كافة ؟ أفلا يحسن بنا أن نهدى القرآن المترجم لأمثال هؤلاء ليتدبروه ويتأملوه ، ويتحققوا أن فيه شفاء لما فى الصدور ، وخلاصا للانسانية من الشرور ؟

حقا إن الذين يريدون حجب هذا النور اليوم لآثمون !

هل ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية

تعطل انتشار اللغة العربية ؟

قال الأستاذ صاحب الرسالة ما معناه : « لم يمس المسلمون الأولون لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وكل أمة تسعى أشد السعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلمها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها الخ الخ .

نقول :

إننا لم نقرأ فى كل ما قرأناه من الشبهات شبهة أوهى بنيانا ، وأوهن أركانا ، وأبعد عن العرف وعن الواقع من هذه الشبهة .

فلو كانت صحيحة لكانت الأمم التى يضرب الأستاذ لنا بها الأمثال أحجمت عن ترجمة كتبها المقدسة الى لغات الأمم الأجنبية عنها ، محافظة على لغاتها القومية ، ولما سمح كبار مؤلفيها بترجمة مؤلفاتهم الى غير لغاتهم الوطنية. والذى نراه باعيننا أن الامم قاطبة تسعى الى نشر مذخور آدابها ، وثمرات تفكيرها الى اللغات الأخرى ، وتعد ذلك من مفاخرها ، ولم يؤثر ذلك على لغاتها الأصلية ، بل زادتها نماء وارتقاء .

يقول الأستاذ : إن الأمم تسعى فى نشر لغاتها وإضعاف لغات غيرها .

نقول : نعم ، ولكن ذلك فى البلاد التى تطمع فى احتلالها واستعمارها ، ولكنها بالنسبة للبلاد التى تطمح الى مزاملتها ومبادلتها ، نراها تعمم تعليم لغاتها فى مدارسها مع لغاتها الوطنية . فترى الفرنسيين يدرسون فى مدارسهم الى جانب لغتهم اللغة الانجليزية والألمانية والايطالية ، والانجليز يلقنون أطفالهم الفرنسية والألمانية ، والألمان يعلمون الفرنسية والانجليزية ، واليابانيين يبثون فى ناشئتهم الانجليزية وغيرها الخ .

وتكاد لا ترى أوربيا أو يابانيا لا يعرف الى جانب لغته الوطنية ، لغة أو لغتين أجنبيتين ، فكيف يصح قول الأستاذ إن كل أمة تسعى فى نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها ؟

فهل نطمح نحن الى احتلال أوربا واستعمارها فنسعى فى نشر لغتنا فيها وإضعاف لغاتها ولغات المنافسين لنا فى تدويخها ؟

ليس هذا الطموح بمحال ، ولكننا لسنا بسبيله اليوم ، وإنما نحن بسبيل إفهام الأجانب حقيقة ديننا بلغاتهم ، كما يفهموننا حقيقة دينهم بلغاتنا ، فهل فى هذا ما يقدح فى تعصبنا للغتنا ، وحرصنا على كرامتها ؟

ليس غرض الأستاذ بهذا القول الدفاع عن اللغة العربية ، ولكنه يريد به أن يعطل ترجمة معانى القرآن فحسب ، ولو بأثارة مثل هذه الشبهات الواهنة ، لأننا لا نعقل أن هذه البداهات تغيب عنه .

نعم لأنه لو كان يريد الدفاع عن اللغة العربية ، ويعتقد أن ما يقوله صحيح لكان ثار على كل كتاب نضعه لأوربا بغير اللغة العربية . ولكنى رأيته فى رسالته نفسها يقول تحت عنوان كيفية تفهيم الأجانب حقيقة ديننا : « أن يوضع لهم كتاب بواسطة لجنة من علماء الأزهر الشريف وعلماء القانون وعلماء التربية والاجتماع يبين فيه ما يدعو اليه الدين الحنيف الخ الخ وهو واجب أو فرض كفاية على الأمة الاسلامية » .

فهل يضر اللغة العربية أن يترجم القرآن الكريم الى اللغات الأوربية ، ولا يضرها أن يوضع كتاب بتلك اللغات ، وما الفرق بين العملين بالنسبة لمصلحة اللغة العربية ؟

يقول الأستاذ : « لم يمس المسلمون الأولون لغة القرءان بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة الامة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، بل وبقاء القرءان » .

نقول : أما عدم مساس المسلمين للغة القرءان بالترجمة فقد بينا أسباب ذلك

فى الفصل المتقدم ، ولم يكن له من علة غير ما ذكرنا . وليس بصحيح أن المسلمين لم يعسوا لغة القرءان على الاطلاق بالترجمة .

فقد جاء فى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب ، فكانوا يقرءون ما كتب فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم ، وقد عرض ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه .

هذا كان على عهد النبوة ، أما فى مدى القرن الأول على عهد التابعين فكانت ترجمة القرآن والصلاة بها لا تعتبر شيئا فريا . فقد قال الأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية فى فتوى لأهل الترانسفال ما نصه حرفيا :

«وتجوز القراءة والكتابة (أى للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها بشرط ألا يخل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » انتهى .

إن أمرا يفعله الحسن البصرى الذى يعتبر إماما لجميع أئمة هذه الملة لا يصح وصفه بأنه خروج على المبادئ الاسلامية .

هذا كان فى القرن الاسلامى الأول الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم: إنه خير القرون . أما فى القرن الثانى فقد أصبحت هذه الرخصة الاسلامية مذهبا دينيا لصميم أهل السنة والجماعة فى مذهب أبى حنيفة كما رأيت .

أما فى القرن الثالث الذى انتشر فيه مذهبا الشافعى وابن حنبل ، فقد استحسن بعض علمائهما ترجمة القرآن ، ولكنهم لم يجوزوا الصلاة بالترجمة . وقد أثبتنا ذلك من كلامهم بما لا يدع حاجة للمزيد .

هذه خلاصة مذاهب الأئمة وأفعالهم فى الثلاثة القرون الأولى للاسلام ، فهل يصح أن يقال بعد هذا : « إن المسلمين الأولين لم يعسوا لغة القرآن بالترجمة لعلمهم أن فى بقاء لغته على ما هى عليه دوام حياة الأمة العربية ونماءها وبقاء ذكرها ودينها ، وبقاء القرآن » ؟

فأية علاقة يمكن أن توجد بين بقاء القرءان غير مترجم ، وبين دوام حياة الأمة العربية ونمائها الخ ؟ .

هل دوام حياة الأمة العربية ونماؤها وبقاء دينها يتوقف على أن القرءان تبقى ترجماته محرفة فى أوربا ، ونحن صامتون جامدون كأن تحريفه لا يعنينا ؟

وهل دوام حياة هذه الأمة ونماؤها الخ الخ يتوقف على أن يجهل العالم كله كتابها فيخلطوا فى عزو المضحكات والخزعبلات اليه ؟ قرأت فى مجلد سنة ١٩١٦ من مجلة الحياة والعلم الفرنسية La vie et la Science بحثا لأحد علماء الحيوانات فى الجراد صدره بقوله : « جاء فى القرءان أن الجرادة الواحدة تضع تسعا وتسعين بيضة ، وإن وضعت ما يتم المائة لم يبق فى الأرض متسع لغيرها » .

وقال غيره : «القرءان يقول بأن المرأة لا روح لها ولا ترث الآخرة ، وأنه يدعو الى الشهوات ، والى إبادة الكفار والى عبادة محمد الخ » .

فهل بقاء هذه الأضاليل كلها يتوقف عليه بقاء الأمة العربية ونماؤها وكرامة دينها ، وشرف قرءانها ؟

أنا لا أقول إن هذه الأضاليل موجودة فى التراجم المطبوعة ، ولكنى أقول إن هذه التراجم محرفة ، ولا يجوز بقاؤها على حالها ، وإلا كنا راضين عنها ومحاسبين عليها .

ويعد الأستاذ من آثار إهمال الترجمة بقاء القرءان .

وهذا أغرب من كل ما سبقه من الشبهات ، فهل يرى أن الترجمة يمكن أن تحل محل القرءان فيستغنى عنه ولا يكون له معها بقاء ؟

لا يعقل هذا إلا إذا نسخ اللسان العربى ، وهجره أهله ، وآثروا عليه لسانا آخر من الألسن الأجنبية ، فهل يرمى الأستاذ الى هذا المعنى ؟ وهل فى الأرض محال أكثر عراقة فى البطلان منه ؟

إن شبهة الأستاذ التى مؤداها أن ترجمة القرءان قد تفضى الى أن الذين

يتعلمون اللغات منا يعولون على الترجمة ويهملون الأصل ، شبهة لا تحتمل النقد ، فانه يرى أنه مع انتشار اللغات الأجنبية فى البلاد العربية والمستعربة قد قويت بجانبها اللغة العربية قوة لا يوجد نظير لها فى هذه البلاد فى الألف السنة الماضية ، فيكاد يكون اليوم كل متعلم فيها كاتبا وخطيبا ، على حين أن الناس كانوا فى الجيل الماضى ، حيث لم تكن اللغات الأجنبية منتشرة ، لا يكادون يقرءون الكتب الأولية قراءة صحيحة .

ولعل الأستاذ يرى أن الأمم الاسلامية التى لسانها غير عربى قد يحملها طلب فهم القرءان على أن تتعلم العربية فيكثر سواد المتكلمين بها والمعولين عليها ، فلو قنا بترجمة القرءان لها صددناها عن تعلم العربية .

وهذا أيضا من الأوهام ، فان هذه الشعوب لم تحاول قط أن تتعلم العربية أيام كانت الدولة العالمية للمسلمين ، والسلطان المطلق فى أيديهم ، أفتعمل على تعلمها اليوم وهى أشغل ما تكون بأمور معاشها ، ومقاومة المتوغلين فى أحشائها ، وقد رأيت أنها هى نفسها تطلب ترجمته الى لغة تستطيع أن تفهمه بها ؟

وهل مما يسوغ دينا أن نهمل ترجمة القرءان ترجمة صحيحة ، ونتركه محرفا مشوها باللغات الأجنبية ، جريا وراء أوهام كهذه لم تتحقق فى أمة من الأمم فى العهود الماضية ، ولن تتحقق فى الأزمنة المستقبلة ، فضلا عن أنها ليست من الممكنات عقلا ؟

رد الأستاذ فى رسالته
على ما كتبته بالأهرام

ذهب الأستاذ فى رده على بأنى (١) رميت الغيورين على الدين بالغفلة عن مذهبهم (٢) وأنى نسبت لامام المحدثين الحسن البصرى ما لا يعقل (٣) ونسبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت (٤) وغلطت فى آراء الحنفية .

رمانى الاستاذ بكل هذه التهم ، وإنى لمناقشه فيها جميعا فأقول :

التهمة الاولى : أما رميى الأحناف المعاصرين الذين يقولون بعدم جواز ترجمة القرءان بالغفلة عن مذهبهم فصحيح ، لأنه قد طبعت عشرات من كتب الأحناف فى مصر وكلها تنص على جواز ترجمة القرءان والصلاة به لمن لا يعرف العربية . وهى منتشرة بين الناس ، ويستطيع أن يتحقق من هذا الأمر كل من يعنى به منهم .

ألست معذورا بعد هذا كله أن أتهم كل حنفى ينكر هذا بأنه غافل عن أحكام مذهبه ؟

التهمة الثانية : وأما نسبتى لامام المحدثين الحسن البصرى ما لا يعقل فليست بصحيحة ، فقد نقلتها عن الأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية ، فقد كتب فى فتوى أرسل بها الى مسلمى الترانسفال فى سنة ١٩٠٣ ونشرتها مجلة المنار له فى ذلك الحين ما نصه بالحرف الواحد : « وتجوز القراءة والكتابة (أى للقرآن) للعاجز عنها بشرط ألا يختل اللفظ ولا المعنى . فقد كان تاج المحدثين الحسن البصرى يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » انتهى .

وما كنت لأتهم مثل الأستاذ المرحوم فى حادثة تاريخية تتعلق بأدق مسألة دينية ، وهى جواز تلاوة القرآن فى الصلاة مترجما الى لغة أجنبية . فاذا كان الأستاذ صاحب الرسالة يوجه الى لوما فليشركه معى فيه .

وقد نقل الأستاذ صاحب الرسالة عن صاحب مسلم الثبوت أنه قال : « سمعت من بعض الثقات أن تاج العرفاء صاحب تاج المحدثين إمام المجتهدين الحسن البصرى كان يقرأ القرآن فى الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية » ثم عقب ذلك بقوله ملخصا : « إن عمل التابعى ليس حجة فى مسائل الدين . ثم إن هذه الرواية غير معقولة لأنه كيف يكون إمام المجتهدين وصاحبه ممن لا يحسنون العربية وقد أجمع الأصوليون على أنه يشترط أن يكون المجتهد عالما بالعربية ، لا سيما وقد شهد شيوخ البيان للحسن بالفصاحة » ؟

نقول :

يقول صاحب كتاب مسلم الثبوت فى علم الأصول : (سمعت من بعض الثقات) ويورد الخبر ولا يعقب عليه بنقد ولا تجريح ، بله التهويل والتبديع ، فينبرى الأستاذ لنقده وتجريحه لا باعتبار أن روايته مدخولة ، ولكن باعتبار أن الصلاة بالترجمة كبيرة ، فانظر كيف تبدلت سماحة الاسلام فى نظر المتأخرين ، حتى صاروا لا يقبلون ما كان يقبله أئمتهم ! وأنت خبير أن هذا لا يرجع الى أنهم أغير منهم على الدين ، ولكن يرجع الى أنهم يحاولون أن يثيروا على سمعة ناس من هذه الناحية !

يقول الأستاذ : إن هذه الرواية غير معقولة ، لماذا ؟ يجيب : لأنه يشترط فى المجتهد أن يكون عارفا باللغة العربية والحسن البصرى كان إماما مجتهدا بل إمام الأئمة

فهل يمنع أيها الأستاذ أن يكون الانسان إماما فى اللغة العربية ولا يجيد النطق بها كما هو حال كبار المستشرقين ومجتهدى الفرس وعلماء الترك والافغانيين وغيرهم ؟ فاذا كان الحسن البصرى وصاحبه تاج العرفاء على إمامتهما فى الدين لا يحسنان النطق بالحاء ولا بالعين وكانا يقرءان (الرهمن) بدل الرحمن ، و (الرهيم) بدل الرحيم ، و (الهمد) بدل الحمد فى فاتحة الكتاب ، و (الآلمين) بدل العالمين ، و (إياك نأبعد) بدل إياك نعبد ، و (إياك نستئين) بدل وإياك نستعين ، و (المستكيم) بدل المستقيم ، و (أنأمت عليهم) بدل أنعمت عليهم ، و (المغدوب أو المغظوب عليهم) بدل المغضوب عليهم ، و (الدالين أو الظالين) بدل الضالين ، فلنا إذا كانت قراءتهما على هذا النحو وكرها أن تكون صلاتهما مشوبة بهذا التحريف ، فهل عليهما من بأس إن عملا فيها بالرخصة الاسلامية ؟

يقول الأستاذ : إن عمل التابعى ليس بحجة فى مسائل الدين .

نقول : هذا صحيح ، ولكن إن خالف الكتاب والسنة والاجماع والقياس

الصحيح . ولكن إن كان لا يخالفها ، بل وجد فى السنة ما يؤيده وسوغه القياس الصحيح أيضا ، أمكن الأخذ به .

التهمة الثالثة :

وأما نسبتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يثبت فليست بصحيحة أيضا ، فقد ذكر الأستاذ أنى أتيت على خبر ترجمة سلمان للفاتحة وقلت إن النبى صلى الله عليه وسلم أقرها ، ولكنه هو لم يعثر على تلك الرواية إلا فى المبسوط وليس فيه أنه أقرها .

نقول :

إنى نقلت روايتى عن كتاب (النهاية والدراية) فليرجع الأستاذ اليه . وقد سبق للأستاذ المرحوم الشيخ محمد بخيت أن نقله عن هذا الكتاب فى فتواه لأهل الترانسفال قبل أكثر من ثلاث وثلاثين سنة ، فقال كما هو مذكور فى مجلد سنة ١٩٠٣ من مجلة المنار :

« وفى النهاية والدراية أن أهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية ، فكتب فكانوا يقرءون ما كتب فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم . وقد عرض ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه » انتهى

فعدم إنكاره عليه إقرار له كما لا يخفى ، وهل يصح للأستاذ أن ينسب الى ما لم أفعله بحجة أنه لم يجده فى الكتاب الذى عنده ، ألا كان يحسن به أولا أن يسألنى من أين أخذته ؟

وقال الأستاذ : « لو كان إقرار النبى صلى الله عليه وسلم الذى ذكرته ثابتا لاستدل به أبو حنيفة على مذهبه ، ولخضع له سائر الأئمة ، ولاشتهر أمره بين المسلمين ولعمل به الصحابة الخ » .

نقول :

قد ثبت هذا الخبر عند أبى حنيفة واستدل به وبنى مذهبه عليه ، جاء

فى المبسوط صفحة ٣٧ ج ١ قوله : « استدل أبو حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم » .

أما قوله : « لو كان ذلك ثابتا لخضع له سائر الأئمة » فهو غريب جدا من الأستاذ ، لأن ما يثبت من أحاديث النبى وأعماله عند إمام ويأخذ به ، قد لا يثبت عند إمام آخر فلا يأخذ به ، ولهذا السبب اختلفت المذاهب ، وهل لاختلافها من سبب أكبر من هذا ؟

ومن العجب العاجب أن الأستاذ بعد أن قال : (لو ثبتت هذه الرواية لاستدل بها أبو حنيفة) عاد فى الصفحة التى تليها فقال : (إن الامام أبا حنيفة بعد أن استدل بهذا الخبر رجع عن هذا القول) .

نقول :

قد أثبت الأستاذ هنا بنفسه أن أبا حنيفة استدل بهذا الخبر بعد أن نفى استدلاله به فى الصفحة التى قبلها ، وزاد عليه قوله إنه رجع عنه . فأما رجوعه عنه فلا يمكن الاستدلال عليه من أى كتاب من كتب الحنفية ، وأنا أتحداه فى ذلك . وكل ماروى هو أنه كان يقول بجواز الصلاة بالترجمة لمن يحسن العربية ومن لا يحسنها على حد سوى ، ثم رجع عن هذا الاطلاق الى رأى صاحبيه وهو جواز ذلك لمن لا يحسن العربية فقط .

فالمأخوذ من الهداية وشرح المجمع والدر المختار وغيرها أن أبا حنيفة كان يقول أولا بجواز قراءة القرآن فى الصلاة بغير العربية مطلقا عاجزا كان القارئ أو قادرا . وخالفه صاحباه فقالا بجواز ذلك للعاجز ، وأن أبا حنيفة رجع عن قوله الى قولهما . قال فى الدر : « أوقرأ بها عاجزا فجائز إجماعا . قيد القراءة بالعجز لأن الأصح رجوعه الى قولهما وعليه الفتوى » انتهى .

توهين الاستاذ مؤلف الرسالة لهذه الرواية :

قال الأستاذ ما معناه : « لم تبين لنا هذه القصة من هؤلاء الذين أرسلوا

الى سلمان ، أهم الفرس الذين كانوا فى بلادهم ، أم الذين أقاموا باليمن ، وفى أى زمن كان ذلك ، ومن الذى أرسلوه أعربى أم فارسى ، وهل كان سلمان إذ ذاك بالمدينة أم بالعراق . فاما الفرس الذين كانوا باليمن فكانوا مختلطين بالعرب وكان هنالك مسلمون يستطيع أولئك الفرس أن يتعلموا الفاتحة منهم . وعبارة (حتى لانت ألسنتهم تشعر بانه كان عندهم من يعرف العربية بل من يعلمهم الفاتحة بالعربية) .

« وإن كان هؤلاء ببلاد الفرس فلا يعقل أن جماعة من رعايا ملك يمزق كتاب النبى صلى الله عليه وسلم يجرءون على الصلاة ، وعلى إرسال رسول لسلمان . ثم إن التاريخ لم يذكر أن أحدا من الفرس المقيمين ببلادهم أسلم فى زمن هذا الملك ولا فى زمن من بعده . وعلى فرض أن هذا الخبر صحيح فان عمل الصحابى ليس بحجة . ثم إن هذا الدليل عليك لا لك فهل تريد من الترجمة أن الأجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية ؟ إن كنت تضمن لى هذا فانا أول من يدعو معك » .

نقول فى رد هذا :

إن اليمن كانت ولاية فارسية ، فلما سمع أهلها بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وتأييد الله له قدم عليه وفد منهم مسلمين ، وأسلم واليهم الفارسى معهم ، والبلد الذى تحتله دولة يكثر فيه جنسها عادة ، فيجوز أن يكون الذين كاتبوا سلمان باليمن . وما الذى كان يضطرهم الى الصلاة بلغة لا يفهمونها ، وهم لم يتعودوا ذلك ولا عهدوه فى غيرهم ، ولا سمعوا بأن الاسلام يحظره ، فكتبوا الى صديق لهم أن يوافيهم بترجمة الفاتحة ، ففعل . ويجوز أن يكون هؤلاء بمكة أو بالطائف أو بالبحرين أو غيرها من بلاد العرب ، أو فى بلاد الفرس نفسها وقد أسلموا سرا . فأى شىء فى هذا يستبعده العقل ؟

يقول الأستاذ : « إن هذا الدليل عليك لا لك فهل تريد من الترجمة أن الاجانب يقرءون بها حتى تلين ألسنتهم بالعربية فيتركوا لغتهم ويقرؤا القرآن بالعربية ؟ فان كنت تضمن لى هذا فانا أول من يدعو معك » .

نقول فى رد هذا :

من الذى قال إننا نترجم القرآن ليقرأه الناس فى الصلاة ؟ إن كل ما قلناه أننا نترجم معانى القرءان لتصحيح التراجم الخاطئة ، إذ لا يجوز شرعا ترك المعانى القرءانية محرفة فيها ، ولتفهيم الأجانب سمو ديننا ، وأن كتابه يهدى للتى هى أقوم فى جميع المجالات الانسانية . فلماذا يلزمنا الأستاذ بما لم نقله ولا قاله أحد من الذين تصدوا لهذا المشروع ؟

وما معنى قوله : « فان كنت تضمن لى هذا فأنا أول من يدعو معك » ، فكيف يدعو معى لترجمة القرءان وهو الذى يدعى أن الأئمة أجمعوا على عدم جواز ترجمته ، وأن ترجمته تبديل لكلمات الله ، وتحريف لكتابه ، وجناية على اللغة العربية ، وحمل للجماعة الاسلامية ، وخروج على جميع الأصول الدينية ؟

ألست القائل فى الصفحة التالية :

« أجمع الأئمة الأربعة وجماهير المسلمين على ما يأتى :

(١) عدم جواز ترجمة القرءان .

(٢) عدم جواز كتابته بغير العربية .

(٣) عدم جواز القراءة بغير العربية خارج الصلاة » .

فكيف بعد اعتقادك هذه الأمور الثلاثة ، وقولك باجماع الأمة على عدم جواز قراءته بغير العربية حتى خارج الصلاة ، تقدم على الدعوة معى لترجمته والصلاة بالترجمة حتى تلين الالسنة للقراءة بالعربية ؟

خلنا من هذا الآن .

يقول الأستاذ : أجمع الأئمة الأربعة على عدم جواز ترجمة القرآن ، ثم عاد فقال بعد خمس صفحات : « أجمع الأئمة الثلاثة وجمهور المسلمين ، ما عدا الامام وصاحبيه ، على عدم جواز القراءة بالترجمة فى الصلاة مطلقا » .

وقد سبق له أن قال مرارا إن الامام رجع عن قوله وقال بعدم جواز القراءة بغير العربية مطلقا ، خلافا لصاحبيه ، فعلى أى تأكيداته نعتمد فى هذه المسألة ؟

ولو أردنا أن نتتبع جميع ما أتى به الأستاذ من الأقوال لاستخرجنا منه عجبا ، فندعه وما كتب ، وهو أدرى بمكانه من التمحيص من كل أحد سواه .

وقد ذكرنا أن مسألة ترجمة معانى القرآن ككل مسألة يكثر حولها الخلاف حتى بين أهل المذهب الواحد ، فيستطيع من يريد الجدل للجدل ، لا لتجلية الحقائق ، أن ينقل بعض تلك الأقوال فى صعيد واحد ، فيخيل لمن لا علم له بالخلافات الفقهية أنه يسوق الفقه كله بين يديه إدلالا على ما يقول .

ولكنا أتينا هنا على أقوال بعض العلماء الأولين من جميع المذاهب ، بجواز ترجمة معاني الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، بقصد نشر دعوة الاسلام فى العالم الغربى ثانيا . فلا يعقل والحالة هذه أن نكون حيال بدعة سيئة من البدع التى يدحضها الدين .

فاذا خيل لبعض أهل الغرور أن أجلاء العلماء المعاصرين يتأثرون بسحر المدنية الغربية وأساليبها فى الدعاية ، وينزعون الى تقليدها ، فهل يمكن أن يقال إن الامام أباحنيفة وصاحبيه وجميع علماء مذهبه فى جميع العصور يغترون به فيتناقلونه راضين عنه مقتنعين به ؟ وإذا صح ذلك فيهم على فرض المحال ، فهل يصح فى علماء من مذاهب أخرى كالشاطبى وابن بطال والمقدسى والشافعى نفسه فى أحد قوليه ، وقد سبقوا هذا العهد بقرون كثيرة ؟

كل ما فى المسألة أن ترجمة القرآن من المسائل الخلافية ، وقد أجمع المسلمون قديما وحديثا على أنه لا بأس على أحد من الأخذ فى تلك المسائل ببعض الأقوال دون البعض الآخر ، فهل يحل لبعض المتكلفين أن يتصدوا للصد عنها متعمدين لضروب المماحكات والمغالطات لهوى فى نفوسهم ، أو تعصبا لآرائهم ؟

التلاعب بالمسائل الخلافية

أطلق الاسلام لأهله حرية البحث والنظر، وحرم عليهم التقليد الأعمى، وأشعرهم بالتبعة الشخصية الملقاة على كل منهم حيال عقائده وأعماله وخواطره، وأعلن كل إمام فى الدين أنه برىء ممن يقلده بغير نظر فى أدلته، لذلك تعددت المذاهب، وتشعبت الآراء حتى بين أهل المذهب الواحد. وهذه الحرية من أفعل الوسائل فى الوصول الى الحقائق.

ولكن بعض من لاحريجة لهم فى الدين فى الأجيال الحديثة اتخذوا هذه الخلافات وسيلة للتلاعب بالأمور الفقهية، وإصدار فتاو متناقضة فى المسالة الواحدة، طلبا للتفوق على الخصوم من وراء هذه المحاولات الاجرامية، و لتصيد منفعة دنيوية.

وكثيرا ما استغل المتلاعبون سذاجة الدهماء فى سبيل تعطيل مشروعات عظيمة، وإصلاحات خطيرة ليس من مصلحتهم حدوثها. ومن أين للدهماء أن يفرقوا بين الحق والباطل من خلال أقاويل ومناقشات ومغالطات وسفسطات لا يستطيعون قراءتها صحيحة فضلا عن فهمها وإدراك وجه الصواب منها؟

على هذا الأسلوب يجرى المتلاعبون اليوم بالخلافات الفقهية، حيال مسالة ترجمة المعانى القرآنية، فبينا يكتب فقيه كالأستاذ الشيخ محمد عبد السلام القبانى المدرس بكلية الشريعة كما نشره له البلاغ فى ١٧ مايو الحالى وهو:

« القرآن واجب التبليغ لجميع الأمم، وهذا الوجوب منصب على تبليغ القرآن نفسه، ولا يكفى تبليغ الرسائل ولا المؤلفات عنه، وهو مملوء بالآيات الدالة على وجوب تبليغه نفسه الى الكافة. فاما تبليغه للعرب الذين نزل بلسانهم فقراءته عليهم، وأما تبليغه لغير العرب وهو فرض واجب معلوم من الدين بالضرورة فلا طريق لهذا التبليغ إلا ترجمته لكل أمة يراد تبليغه لها ولا يكتم عن كل أمة منه حرف واحد ».

قلنا بينا يكتب هذا العالم الفقيه ما رأيت مستندا على النصوص الفقهية، يكتب عالم فقيه آخر هو الأستاذ صاحب الرسالة التى نرد عليها مستندا على الفقه كما يدعى قوله: إن ترجمة القرآن من أشد الكبائر وإن المسلمين أجمعوا على منعها، وتبديع من يحاولها، وأنها تضر الدين، وتضيع اللغة، ويخشى منها على القرآن نفسه الخ.

بل إننا نستطيع أن ناتى فى هذا الباب على ما هو أشد وقعا فى أنفس القراء من هذا، فنستطيع أن ناتيهم بامثلة على صدور فتويين مختلفتين فى موضوع واحد من فقيه واحد، أفتى فى إحداها بالجواز مع الاستحسان فى أمر معين، وأفتى فى الأخرى بالتحريم مع الاستهجان فى الامر نفسه، مستندا فى كلتا الفتويين على نصوص وأقوال من كل مذهب.

فهذه الحالة لا يجوز أن تغيب عن نظر الناس. نعم إنه يصعب عليهم التمييز بين الصحيح والسقيم من هذه الفتاوى المتناقضة، ولكن لا يصعب عليهم ان يرجعوا من دينهم الى مبادئ أولية مقررة أجمع عليها المسلمون فى كل زمان ومكان، وهى:

(أولا) أن هذا التخالف فى الأقوال يدل على أنه ليس هنالك إجماع، إذ لو كان إجماع لما وجدت كل من الطائفتين المتنابذتين ما تؤيد به رأيها من أقوال الفقهاء، ولم يجد الفقيه الواحد الذى ذكرناه ما يؤيد به فتويه المتناقضتين من أقوالهم.

(ثانيا) أن كل أمر مختلف فيه يمكن العمل بالوجه الموافق للمصلحة منه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: « اختلاف أمتى رحمة ».

(ثالثا) إن الضرورات تبيح المحظورات.

فى المسالة التى نحن بسبيلها قد ثبت ثبوتا قاطعا أن مذهب أبى حنيفة يبيح ترجمة القرآن والصلاة به مترجما، وكتابته فى كتاب مع القرآن العربى

المنزل . وثبت أيضا من أقوال علماء كبار من المالكية كابن بطال والشاطبي وآخرين من الشافعية وأمثالهم من الحنابلة ، أنهم يستحسنون ترجمة معانى القرآن للدعوة الاسلامية باعتبار أننا مكلفون بتبليغه للأمم كافة ، فجميع هذه الأقوال تبرر مشروع ترجمة معانى القرآن وتجعله من المشاريع التى ينتظر من ورائها نفع كبير للدعوة الدينية .

فاذا لم تكن ترجمة القرآن جائزة فى مذهب أبى حنيفة ، ومستحسنة لدى كثير من كبار علماء المذاهب الأخرى كما رأيت ، أفلا نكون فى حل من ترجمته استنادا على القاعدة الاسلامية المشهورة وهى أن الضرورات تبيح المحظورات ، درأ للتحريف الذى وقع فى التراجم التى قام بها أفراد من الأوربيين ، فى أزمان مختلفة ؟

أيرضى مسلم فى الأرض أن يبقى القرآن محرفا مشوها فى تلك التراجم استنادا الى مزاعم بعض الذين يتلاعبون بالخلافات الفقهية ، شانهم فى كل مسألة فرعية ، سواء أكان ذلك قضاء لمآرب شخصية ، أو قصورا منهم فى العلم بالشئون العالمية ؟

إذا كان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينكر على سلمان الفارسى أن يترجم الفاتحة ويصلى بها قوم من الفرس ، أفينكر اليوم على من يتصدى لترجمة معانى القرآن لافهام الأمم القوية حقيقة الدعوة الاسلامية التى وقف لها حياته الشريفة ، ودعا أتباعه للدءوب على بثها فى العالم كله باعتبار أنها حق مشاع للبشر كافة ؟

إن الامام أبا حنيفة الذى أدرك القرن الأول وأخذ علمه عن التابعين ، قد استند على هذه السابقة فقرر بناء عليها جواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما ، أفنتورع نحن عما لم يتورع عنه هو وأصحابه ، ونحن فى القرن الرابع عشر ، ومقصدنا أدعى للاهتمام والعناية من مقصده ، فقد كان يقرر جواز العمل برخصة من رخص الدين ، ولكنا حيال تصحيح تحريفات وقعت

فى معانى كلام الله القديم فى تراجم قام بها رجال من الأمم الأجنبية . وهو أمر جلل لو تغابينا عنه وقعنا فى إثم عظيم .

يقول المتلاعبون بالخلافيات الفقهية إن خبر ترجمة سلمان للفاتحة لم يثبت .

نقول: إن قولهم لم يثبت على الاطلاق غير صحيح . فانه ثبت عند أبى حنيفة وأصحابه فأخذوا به كما هو وارد نصا صريحا فى كتب الحنفية . وإذا كان هذا الخبر لم يثبت عند بقية الأئمة فلم يأخذوا به فليس هذا بغريب . ففى الفقه أحكام كثيرة ثبتت مصادرها عند واحد فأخذ بها . ولم تثبت عند الثلاثة فرفضوها ، فاذا أراد أحدنا أن يتكلم عن واحد منها فى هذا العصر فلا يجوز له أن يقول إن هذا الخبر لم يثبت ، مرسلا النفى إطلاقا على هذا النحو ، فان هذا العمل لا يعد أمانة فى العلم ، ولكن يجب عليه أن يفصل فيه القول ، فيقول ثبت عن الامام فلان فاخذ به ، ولم يثبت عند الثلاثة فرفضوه .

وعند ذاك فلا يضير أحد المسلمين أن يأخذ بقول ذلك الامام فى ذلك الحكم إن رجح عنده قوله على أقوال غيره ، بعد النظر فى أدلته وأدلتهم ، فقد أجمع المسلمون على أن من سار على هذه الطريقة فى ترجيح قول على قول فلا لوم عليه . وفى الفقه أحكام كثيرة انفرد بها إمام واحد وخالفه الثلاثة فيها ولم يجد المسلمون مانعا من العمل بها .

ولكن الا ستاذ صاحب الرسالة لم يعالج المسالة على هذا النحو ، لئلا يقال له مادامت ترجمة القرآن توافق مذهبا من الأربعة المذاهب ، فلا باس من التعويل عليه . فحاول إتعاب ذهن القارئ بالشبهات ليستولى عليه ضعيفا مستخذيا ، فزعم أولا أن الامام لم يستند على خبر سلمان ، ثم اعترف بأنه استند اليه ، ولكنه لما تبين له وهنه تركه وأخذ به صاحباه دونه ، ثم شرع الأستاذ يوهن فى ذلك الخبر ويشكك فى طريق وصوله . فبذل فى ذلك جهدا جهيدا . ولكن فاته فى النهاية أهم ما يسال عنه مطالع رسالته وهو قوله : إذا كان ما تقوله حقا فكيف تجمع جميع كتب الحنفية على أن أبا حنيفة لم يرجع

عن هذا القول ؟ وكيف يقرر علماء أعلام من أئمة الحنفية فى هذا العصر أن أبا حنيفة لم يرجع عنه ؟

الغرض من هذا التهويش كله التأثير فى عقول العامة ليسيئوا الظن بهذا العمل والقائمين به ، ولا يبالون فى سبيل الجرى وراء هذا الهوى ما يصيب سمعتهم وسمعة الدين عند ذوى العقول داخل هذه البلاد وخارجها .

لقد بلى العالم الاسلامى كثيرا بالمثبطين ، ولكنه لم يبل فى أسوأ أدواره بمثبطين فى إبلاغ دين الله للعالمين ، كما هو حاصل اليوم إزاء ذلك العمل العظيم وهو ترجمة القرآن الكريم .

لا جرم أن هؤلاء من طراز طريف ، ولكنها طرافة تظهرنا أمام العالم بمظهر شاذ ، فى زمان ندعى فيه أننا جديرون بمزاملة الأمم فى الحياة ، ومشاركتها النظر فى الشئون الاجتماعية والأدبية .

إنهم للتأثير فى عقول العامة يدعون أن للقرآن معانى لا تتناهى ، وأنه من بعد الغور بحيث لا يحوم حوله فهم ، وأنه لهذا السبب لا يمكن ترجمته ، والعامة يروقهم هذا القول ويهتفون لقائله ، ويغيب عن هؤلاء المتلاعبين أن لمزاعمهم هذه آثارا سيئة على المسلمين وعلى الاسلام نفسه .

أما على المسلمين فلأنه يحقق زعم الزاعمين ، من أركان الاستعمار بان العالم الاسلامى أشبه بجمعية سرية واسعة النطاق ، يبيت أعضاؤها للمدنية شر النيات ، ويعملون على ذلك فى الخفاء تحت سلطان تعاليم قرآنية لها معان ذات وجوه رمزية ، لا يمكن ترجمتها الى لغة أجنبية ، ويتخذ هؤلاء الاستعماريون امتناع المسلمين عن ترجمته دليلا محسوسا على ما يقولون .

وقد سبق لحكومات استعمارية أن حرمت على رعاياها تلاوة آيات من القرآن الكريم وتفسيرها للعامة جريا وراء تمائم الكتاب الاستعماريين الذين نذكرهم ، وقد سبق لتلك الحكومات أيضا أن منعت رعاياها الحج عملا بهذه التمائم عينها التى يسعى أعداء ترجمة القرآن اليوم لتقويتها فى نفوس طلاب الضغط على المسلمين .

اما تأثير مزاعم المعارضين على الاسلام نفسه فتأتى من ناحية إساءة الأمم الظن به وبكتابه ، فانهم سيقولون ما لنا ولدين يدعى أهله أنهم لم يفهموا كتابه حق الفهم بعد أن مر نحو أربعة عشر قرنا على نزوله ! وما لنا ولدين يشترط علينا أن نتعلم العربية لنشاطرهم الانخراط فى سلك أتباعه ! وكيف يعقل أن دينهم كما يقولون عام وهم يحصرونه فى لغتهم الى حد أن يضنوا على بقية اللغات بمعانى كتابه ؟!

وهنا يتدخل دعاتهم الدينيون ويقولون لهم : دعوا القرآن وشانه ، أما قلنا لكم إنه غذاء عقيم لآهله ، وإنه ليس بشىء غير مصاصة العقلية العربية ، وإن خير ما فيه منقول عن التوراة والانجيل الخ .

فهل لهذه النتيجة السيئة يعمل المعارضون لترجمة القرآن الكريم ، فيكلفون أنفسهم إثارة الشبهات الوهمية ، وتمحل العلل الخيالية ، ليوهموا العامة أنهم يعملون لله ورسوله ، وفى سبيل صيانة دينه ؟

وهل تروج سفسطاتهم على عقول الناس فيتورطوا معهم فى منع نور الله ان ينفذ الى قلوب عباده ، ويستديموا بذلك الشبهات على القرآن وأوليائه ؟

لا أظن ذلك يكون ، فان المسلمين أكيس أن ينخدعوا بباطل ، أو يؤخذوا بمحال .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان أيضا

يؤسفنى جدا أن أرى عالما أديبا بارعا كفضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان يتغلب عليه الاندفاع فيسوقه الى موارد لن يحمد مصادرها ، سواء أكللت محاولاته بالفلج ، أم باءت بالخيبة .

كتب الاستاذ بضع مقالات فى جريدة كوكب الشرق يتابع فيها حملاته على ترجمة معانى القرآن الكريم ، فكنت أقرؤها وأسائل نفسى : هل يصدر الاستاذ فيما يكتبه فيها عن عقيدة أم عن هوى ؟ وأنا أضن به على كلا الأمرين معا .

فهل يعتقد الاستاذ أن وعد الله بحفظ القرآن من التحريف والتبديل يتناول الترجمة أيضا كما صرح بذلك فى مقالاته المتتابعة بالكوكب ؟

فمتى اعتبرت الترجمة إهانة للكتب ، وقد شرف الله اللغات فانزل كتبه السابقة بكثير منها للام ، وفيها ما فى القرآن من التعاليم الالهية ؛ والحكم الربانية ، وقد صرح الحق تعالى نفسه بذلك فى كتابه الكريم فقال : « وإنه (أى القرآن) لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين . وإنه (أى القرآن) لفى زبر الاولين » والزبر هى الكتب .

هذه الآيات تدل دلالة قاطعة على أن معانى القرآن الكريم قد أنزلت كلها باللغات المختلفة للأمم السالفة ، وقد أعاد الله إنزالها بلسان عربى مبين للأمة العربية .

وأكد الله هذه الحقيقة فى آية أخرى فقال تعالى : « إن هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى » .

فاذا كان الله يحتقر اللغات إلا العربية لا نزل جميع كتبه بها ، ولكن الله الذى يقول : « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم

وألوانكم » ينتزه عن تفضيل لغة على لغة ، وهو رب العالمين جميعا . أفيعقل أنه يكره أن ننقل معانى كتابه العربى المبين الى لغات الأمم المعاصرة ، وقد كلفنا بدعوتها اليه ؟ أندعوهم اليه دون أن نحمله اليهم باللغات التى يفهمونها ؟

عرف الناس قديما وحديثا أن الترجمة هى الذريعة الوحيدة لتعميم العلوم والآداب بين الناس ، وأنه لولاها لتقاطعت الامم وتناكرت وجهل بعضها بما فتح الله به على بعضها الآخر ، فبقيت مساتير العلم موزعة بينها لا يتألف منها مجموع قائم بنفسه ، تتوارثه الشعوب وتستودعه أمانة لمن يخلفها كما هو حاصل اليوم .

فهل رب العالمين جل وعلا يحفظ كتابه من الترجمة وهى بحيث علمت شرفا وجلال أثر ، لا سيما وهو يصرح بأن القرءان سبق إنزاله قبل الاسلام بلغات الأمم ؟

وهل يجرؤ أحد على مثل هذا القول وقد سمح رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تترجم الفاتحة ويصلى بها ؟

إنكم تنكرون ذلك ، وماذا يجدى إنكاركم له وهو ماخذ مذهب هو أكبر مذاهب المسلمين على الاطلاق وأولها ظهورا ، ولم يطعن عليه نقدة الحديث ، ولا مسته المذاهب التى لم تأخذ به بسوء ؟

ألا تعجب ! يقوم صحابى جليل بعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيترجم الفاتحة ليصلى بها قوم من الاجانب ، ويستدل بذلك فى القرن الثانى أقدم الائمة فيجيز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما ، ويستحسن ترجمته للدعوة جهابذة من جميع المذاهب فى كل زمان ومكان ، ويقوم بين ظهرانينا بعد نحو أربعة عشر قرنا رجال يعتبرون ترجمة القرآن حوبا كبيرا ، بل يزيد عليهم أمثلهم قولا لم يسبقه اليه أحد فى هذه الملة ، وهو أن وعد الله بحفظ القران يتناول الترجمة أيضا !

وكتب الاستاذ أيضا فى تلك المقالات : « القرآن روح والروح لايترجم والقرآن نور والنور لا يترجم » .

نقول : ليس هذا من اللعب بالألفاظ ، ولا من اللعب بالعقول ، ولكنه لعب بالسمعة الذاتية ، وهو ما نضن بالأستاذ عليه أيضا .

قال الله تعالى : « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا » وقال : « وأنزلنا اليكم نورا مبينا » ، معناه أن ما أودعناه فى القرآن من الوصايا والتعاليم روح تحيا به القلوب ، ونور تهتدى به العقول .

فاذا سمح الاستاذ لنفسه أن يقول إن القرآن روح ونور وهما لا يترجمان ، فهل يسمح لمعطل أن يقول : نعم إنه روح ونور ، وهما لا يقرءان أيضا ولا يكتبان ، ولا يسمعان ، ولا يفسران ، ولا تتعدد لهما معان ؟ !

مهلا أيها الأستاذ ! إن للشعريات مجالا غير هذا المجال ، فما يتلهى به من الكلام فى الآدبيات ، وما يتنادر به من المبالغات فى المسامرات ، لا يحسن فى أدعى المقامات للجد ومراعاة قوانين البحث ، وهل وضع النقد الدقيق ، والتمحيص البليغ ، والمنطق المستصفى ؛ إلا لمثل هذه المواطن ؟

إن آباءنا وضعوا لتقرير أمثال هذه الكليات علمين عاليين سموا أحدهما علم الأصول والثانى علم الكلام ، سخروا لتقويمهما جميع العلوم ، لتصدر فيه المسائل عن قوانين محكمة ، لا تدع ثغرة يتقحمها وهم أو خيال أو هوى . أفنسمح نحن لأنفسنا أن نخضع أشرف موضوع وأجله للأخيلة الشعرية ، والألاعيب الكلامية ، غير مكترثين لما يبنى عليها من متناقضات وسفسطات ؟

لاجرم أن هذا كثير ، وفوق الكثير ، وهو من أهل العلم كبير وأى كبير !

يقول : الأستاذ : « القرآن عربى وسره فى عربيته ، وأبى الله إلا أن يكون عربيا » .

نقول هذا الكلام مناقض لكلام الله نفسه ، فان الله يقول عن القرآن فى آية محكمة : « وإنه (أى معنى القرآن) لفى زبر الأولين » . وهو كلام صريح

فى أن معانى القرآن الكريم وجدت كلها فى كتب الأولين بلغات كثيرة ، فاين منه قول الأستاذ إنه عربى وسره فى عربيته ؟ فهل يعقل أن سر الحكمة الالهية يتوقف على اللغة التى تمثلها ؟ وهل يتصور أن تلك الحكمة نفسها كانت فى الكتب التى أنزلها الله على الأمم بلغاتها مجردة من كل سر ، وخالية من كل تأثير ؟

هذا كلام لو ترجم الى لغة أجنبية لكان أثر صده عن الاسلام أكبر من أثر صد ألوف من المبشرين عنه ، فهل يسر الأستاذ هذه الثمرة لجهوده المتكررة ؟

من أغرب ما قرأناه من ضروب الاجابات على الاستشكالات قول الاستاذ :

« فهذا القرآن المنزل من رب العالمين ، قد أنزله ذكرا لجميع العالمين . وهذا الرب أنزله عربيا ، ويعلم أنه عربى ، ويعلم أن العالم مملوء بغير العرب ، ومع ذلك قرر أنه ذكر لجميع العالم ، وأنه قائم بوظيفته مع عربيته قياما كرره فى آيات عدة .

« نعم إنه لعجيب أن يكون هذا القرآن العربى ذكرا وذكرى للعالمين مع اختلاف ألسنتهم ، وتعدد لغاتهم . وقد ذكرت الآيات اللاتى ترفع هذا العجب إذ كان نازلا من رب هذه الخلائق . وكان الحق تعالى أراد أن يدفع هذا العجب أيضا بآياته صريحة قاطعة فى قوله تعالى : « قل ما أسالكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين » . فتراه تعالى يبين لهم فى الآية الأخيرة أنهم سيرون هذا الذى ظنوه عجبا حقيقة واقعة ، وقد وقعت وستظل واقعة باذن ربها ، وسيظل القرآن العربى ذكرى للنبى العربى وقومه العرب » . هذا ما أجاب به الاستاذ على ما أورده على نفسه من الاستشكال ، ومؤداه أن القرآن سيكون ذكرا للعالمين كلهم وهو باق على عربيته لا يترجم الى اللغات العالمية ، كما هو الآن ذكر للأمم الآخذة به وهى ذات لغات مختلفة .

يقول الاستاذ هذا ، وفاته أن أربعة أخماس الأمة الاسلامية أجانب عن العربية ، وأنهم قد حرموا هم وآباؤهم منذ أسلموا من هذه الذكرى القرآنية

لجهلهم بالعربية ، فهم لا يتلونه ولا يفهمونه . ولذلك ترجمته الى لغاتها شعوب كبيرة منهم كرهت أن تبقى على هذه الحالة من الجهالة بكتابها الالهى . فترجمه الصينيون والهنديون والملايويون والفرس والترك . وقد بدت منهم الآن رغبة شديدة فى نقله الى اللغة الانجليزية . وفى حيدراباد الدكن اليوم لجنة تترجمه بطلب من أهل جاوا (راجع ما كتبناه هنا فى صفحة ٢١ نقلا عن جريدة البلاغ) .

يقول الاستاذ إن هذه المعجزة القرآنية قد وقعت وستظل واقعة ، أفلا يعلم الأستاذ ، وقد صرف معنى الآية على غير وجهها الصحيح كما سترى ، أن أكثر من ثلاثمائة مليون نفس من المسلمين لا يزالون محرومين من نعمة تلاوة القرآن لجهلهم العربية ؟ فهل هو يعتقد أن الصينى والهندى والمغولى والجاوى والفارسى والتركى والملاوى والفلبينى وغيرهم ، يفهمون العربية ويقرءون القرآن بها ؟ إن كان هو يعتقد ذلك فهى معلومات مخطئة عن العالم الاسلامى ، وإن كان هو يعرف أنهم لا يفهمون العربية ولا يقرءون القرآن بها ، فعلى أى وجه يعقل أنهم ينعمون بذكرى القرآن ؛ ويتمتعون بأنواره القدسية ؟

على أن إجابة الأستاذ على ما استشكل به على نفسه تخالف ما أجاب به كبار العلماء الأولين أنفسهم ، فقد ذكر ابن حجر فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى قول ابن بطال ، من أئمة المالكية فى مثل هذا المقام وهو قوله :

« إن الوحى كله متلوا كان أو غير متلو إنما نزل بلسان العرب . ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا وعجما وغيرهم لأن اللسان الذى نزل به الوحى عربى وهو يبلغه الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بألسنتهم » .

وقال الامام الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه » :

«فان قلت لم يبعث رسول الله للعرب وحدهم ، وإنما بعث الى الناس أجمعين بل الى الثقلين ، وهم على ألسنة مختلفة ، فان لم تكن للعرب حجة على الله لفهمهم القرآن بلغتهم ، فلغيرهم من الأعاجم الحجة . قلت لا يخلو إما أن ينزل بجميع الألسنة أو واحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك » .

بمثل هذا كان يرد أئمة الاسلام هذا الاستشكال ، وهى أجوبة تتفق والمنطق ، وتتلاءم وسنة الله فى العالم ، وتقبلها أعمى العقول فى العصر الحاضر ، ولكن إجابة الأستاذ على هذا الاستشكال لا يقبلها أحد يعتد بعقله .

على أن الأستاذ قد أخطأ فى فهم قوله تعالى : « ولتعلمن نبأه بعد حين » فصرفه على ما يؤيد الاستشكال الذى أورده . فان الآية لم تجىء بصدد الدلالة على تأثير القرآن فى عقول من لا يفهمونه من طريق الاعجاز ، ولكن جاءت بصدد تخويفهم من عدم الاكتراث بوعيده ، فأكد لهم بأنهم سيعلمون نبأ هذا الوعيد بعد حين . قال المفسرون أى حين يموتون ، ويرون العذاب الهون ، أو حين يظهر الله الاسلام وهم له كارهون ، وعنه منصرفون .

هذا ما وفقنا أن نرد به على المعاكسين لترجمة معانى القرآن الكريم ، هدانا الله وإياهم الى صراط مستقيم ؟

محمد فريد وجدى